جهود الزمخشري فى فهم النص القرآني فى كتاب الكشاف

(قراءة مُعاصرة فى أبعاد العلاقة بين الالتفات والإعلامية النصية)

Al-Zamakhshari's efforts in understanding the Qur'an text in Kitab al-Kashshaf (contemporary reading in the dimensions of the relationship between attention and textual media)

اعداد

د. حمدي على بدوي أحمد

كلية الآداب جامعة سوهاج - مصر

Doi: 10.12816/mdad.2021.152298

الاستلام : ٢٨/ ١١/ ٢٠٢٠ القبول : ٢٢ / ١٢ /٢٠٢٠

المستخلص :

تتناول الدراسة العلاقة التكاملية بين مؤلف النص ومتلقيه، و كيف أن الزمخشري - في فهمه للنص القرآني- قد راعي أفق انتظار متلقيه ، وجعل من تصرف الالتفات بعدًا ذا قيم جمالية، تمثلت في :مراعاة الحس اللغوي والنفسي، وفي صدمة المتلقي توخيا للإفهام والفهم، والإقناع والاقتناع. فتصرف الالتفات يكشف خوالج النفس، ويجعل المتلقي مجبورًا علي المتابعة والتفاعل .و إجمالا فإن هذا البحث يُعنى بالنقاط الآتية : تقديم نبذة مختصرة عن الزمخشري و كشَّافِه . يليها المحور الأول وينصب على الالتفات وتعريفه لغة وإصطلاحا، وقوفا على اللغة العرفية، وتنـــوع الأسلوب و التفنن فيه. أما المحور الثاني فينصب على البعد النفسى للالتفات، حيث نستجلي أثره من عدة زوايا وقوفا على دوره في استنفار الحواس، والتجديد والمغايرة الأسلوبية، وصدمة أفق انتظار المتلقى ومراعاته. أما المحور الثالث فيتناول البعد الجمالي للالتفات، بما فيه من حديث حول مسألة توسيع الدلالة ، وديناميةالاتصال، وإنتاج الجمال من خلال التخييل . تم تأتي الخاتمة محتوية على أهم النتائج والتوصيات. والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

الكلمات المفتاحية : المؤلف و المتلقي ، أفق الانتظار ، جمال الالتفات.

Abstract:

The study deals with the complementary relationship between the author of the text and its recipient, and how al-Zamakhshari - in his

understanding of the Qur'an text - took into account the horizon of waiting for the recipient, and made the behavior of Enallage a dimension of aesthetic values, represented in: the consideration of the linguistic and psychological sense, and the shock of the recipient in order to understand and understand, and persuade And conviction. Enallage behavior exposes the awkwardness of the soul, and makes the recipient forced to follow up and interact .In general, this research is concerned with the following points: Presenting a brief overview of Al-Zamakhshari and his scouts. It is followed by the first axis and focuses on Enallage and definition of language and idiom, and standing on the customary language, and the diversity of style and mastery of it. As for the second axis, it is focused on the psychological dimension of Enallage, as we explore its impact from several angles, standing on its role in mobilizing the senses, renewal and stylistic contrast, and the shock of the waiting horizon of the recipient and his consideration. As for the third axis, it deals with the aesthetic dimension of Enallage, including the discussion on the issue of expanding the connotation, the dynamic of communication, and the production of beauty through imagination. The conclusion was made containing the most important findings and recommendations.

Key words: for author and audience, horizon of waiting, beauty of attention

أوَّلًا : المقدمـــة:

عـرف الإسـلام ظهـور الكثيـر مـن الفـرق ، التـي تختلـف فـي مرجعيتهـا وتوجهاتهـا ، وواقعها ، وأثرها في تفسير الأصول الإسلامية ، واختلافها حولها ، ولم تنشأ تلك الفرق من العدم ، بل لابد لها من إرهاصات على مستوى الفكر؛ وقد تعاضد كل ذلك في نشأتها ؛ فظهر الشيعة والخوارج والمعتزلة ، وغيرهم من الفرق الإسلامية . وكان مرد هذا الانقسام هو اختلافهم في تفسير بعض الأصول.[1]

ويعدُّ الزمخشري من كبار شيوخ المعتزلة في القرن السادس الهجري ، حيث كان

[1] الفصل في الملل والأهواء و النحل ، لابن حزم الأندلسى ، تحقيق : محمد إبراهيم نصر، و عبد الرحمن عميرة ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، (د. ت) ، ١ : ٤٨

شديد العلم ، كثير الفضل ، غاية في الذكاء ، مفتنًا في علم العربية ، قويًّا في اعتزاله ، مجاهرًا به ، داعيًا إليه . فقد وُلد الزمخشري بزمخشر سنة(٤٦٧ هـ) ، وكان ذلك في فترة حافلة بالأحداث الدينية والتطورات السياسية ؛ وتوصف هذه المرحلة بأنها مرحلة ضعف و تصارع ، فقد شهدت تقسيم العالم الإسلامي إلى العديد من الإمارات والمناطق ؛ وقد أثّر كلُّ ذلك في شتَّى جوانب الحياة . فازدهر مذهب الاعتزال ، تجسيدًا لحالة التنازع بين طوائف المجتمع الإسلامي ، فكان طبعيًّا أن يعتنقه خلق كثيرون . وقد عاش الزمخشري في بيئة تموج بالاعتزال والمعتزلة ، وكان لشيخه أبى مضر الضبّى أثر في ترسيخ هذا المذهب لديه ، وقد كان شيخه هذا من أئمة المعتزلة ، وهو أول من أدخل الاعتزال إلى أهل خوارزم ، كما كان لشيخه الثاني أبى السعد الجشمى أثر كبير في ترسيخ الاعتزال في فكر الزمخشري ، لأجل هذا زخر الكشاف بمسائل الاعتزال .[٢]

كتاب الكشَّـــاف :

جسَّد الكشَّاف مادة المعالجة التطبيقية لفكر المعتزلة ، فقد ألَّفه صاحبه لشيعته من أهل الاعتزال ، تلبية لطلب جماعة من إخوانه و طلابه ، فأصبح هذا الكتاب يُمثل طريقة المعتزلة في فهم كتاب الله ، فإذا بدت معانٍ تُخالف معتقد الاعتزال رأينا سيلًا من التأويلات والحمل على المجاز ؛ يقول : " واستطيروا شوقًا إلى مصنفٍ يضم أطرافًا من ذلك [٣] حتى اجتمعوا إليَّ مقترحين أن أُملى عليهم الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، فاستعفيت ، فأبوا إلَّا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين ، وعلماء العدل والتوحيد".[٤] ففي تفسير قوله - تعالى: ' اعبدوا ربَّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون'.[٥] فيقرِّر أن العبد يظل في طاعة ، لا ينفك عن ذلك ؛ وأن صلاحه يُقاس بقصاري جهده ، وأن تقصيره مردود عليه سلبًا لا إيجابًا ؛ قال الزمخشري : فإن قلت : فهلَّا قيل:' تعبدون ' لأجل اعبدوا أو اتَّقوا لمكان تتقون ، ليتجاوب طرفا النظم ؟ قلت : ليست التقوى غير العبادة ، حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم ، وإنما التقوى قصارى أمر العابد ، ومنتهى جهده ، فإذا قال :' اعبدوا ربكم الذي خلقكم '. للاستيلاء على أقصى غايات العبادة ، كان أبعث على العبادة ، وأشد لزامًا لها ، وأثبت

---

[٢] انظر : المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري (في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير) (٦٢٠ - ٦٨٣ هـ) (عرض و نقد) ، تأليف : صالح بن غرم الله الغامدى ، (ط ١) ، دار الأندلس للنشر ، حائل ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨هـ ، ج١ : ٣٩

[٣] المقصود بذلك الإشارة إلى : علوم العربية والأصول الدينية .

[٤] الكشاف ، ١ : ١٩

[٥] سورة البقرة : ٢١

لها في النفوس ".[٦]

قال أبو حيان : انتهى كلامه ، وهو مبني على مذهبه في أن الخلق كان لأجل التقوى ، وأما قوله : ليتجاوب طرفا النظم ، فليس بشيء ، لأنه لا يمكن هنا تجاوب طرفا النظم ، لأنه يصير المعنى : اعبدوا ربكم لعلكم تعبدون ، أو اتقوا ربكم لعلكم تتقون ، وهذا بعيد في المعنى ، إذ هو مثل : اضرب زيدًا لعلك تضربه ، واقصد خالدا لعلك تقصده . ولا يخفي ما في هذا من غثاثة اللفظ ، وفساد المعنى ، والقرآن منزه عن ذلك ، والذي جاء به القرآن في غاية الفصاحة ، إذ المعنى: أنهم أمروا بالعبادة على رجائهم عند حصولها حصول التقوى لهم ، لأن التقوى مصدر اتقى ، واتقى معناه : اتخاذ الوقاية من عذاب الله ، وهذا مرجو حصوله عند حصول العبادة ، فعلى هذا فالعبادة ليست نفس التقوى ، لأن الاتقاء هو الاحتراز عن المضار ، والعبادة فعل المأمور به ، وفعل المأمور به ليس نفس الاحتراز، بل يوجب الاحتراز ، فكأنه قال : اعبدوا ربكم فتحرزوا عذابه .[٧]

ويجب التنبيه إلى أن الزمخشري و كشَّافه يمثلان حالة متفردة ،عكست علاقة وطيدة بين الذات و رموزها ، إذ يعبر الكشاف فى كلِّ رسم عن صاحبه ، نفسًا ، و علمًا و طموحًا ، فقد وضع الزمخشري خلاصة ما استوعبه فى صديقه الكشَّاف ، ليس كتابه، وعبَّر عن ذلك بصيغتيه المقصودين ؛ (فإن قلتَ) و (قلتُ) ، وكان مما أحاط الزمخشري بأبعاده تصرف الالتفات وأثره فى عرض القصد و جمال الغرض ، واحتفاءً بمتلقيه ، فوجب أن نتناول الالتفات فى أبعاده الثلاثة ، و هى :

١- البعد اللغوي .
٢- البعد النفسي .
٣- البعد الجمالي .

ويُمكن تناول ذلك على النحو الآتي :

المحور الأول : البعد اللغوي للالتفات :

- **الالتفات فى اللغة و الاصطلاح**

الالتفات ظاهرة أسلوبية بارزة ، تسترعى الانتباه ، وقد اكتشفه البلاغيون القدامى ، وصنَّفُوه ضمن أنواع الخروج عن مقتضى الظاهر في الأسلوب ؛ لداعٍ من الدواعي البلاغية ذات التأثير في النفوس والأفكار[٨] ومنهم من جعله تحت مباحث علم البيان ، و

---

[٦] الكشاف، لجار الله الزمخشري ، شرح و ضبط و مراجعة : يوسف الحمادي ، ط١، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ، ١ : ٩٩ – ١٠٠

[٧] البحر المحيط ،لأبي حيان الأندلسي ، دراسة و تحقيق و تعليق : عادل أحمد عبد الموجود و آخرين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م ،١ : ٩٦

(٨) دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، تأليف: د. سليمان الطراونة (د.ط) ، عمان ،الأردن، ١٤١٧هـ/١٩٩٢م : ١١٨ – ١٤١.

منهم من جعله تحت مباحث علم المعاني ومنهم من صنَّفه ضمن مباحث علم البديع ، ويُلقبه العلماء بـ: باب فى شجاعة العربية [٩] لأن البلغاء من الأدباء كانت لديهم شجاعة بيانية ، استطاعوا بها مفاجأة المتلقى ؛ بالتنقل بين طرق الكلام ، قاصدين إلى أغراض بلاغية ، منبهين عليها بذلك .[١٠] ويُقصد بشجاعة العربية : شجاعة المُلقي – الذى يُبدع فى التعبير – بما يُحدثه فيه من تشكيلات رائعة من زاوية المتلقي .

من المعروف أن الالتفات كان معروفًا عند العرب فى جاهليتهم ، ولكنه لم يكن مشهورًا بهذا الاسم ، فقد أشار أبو عبيدة معمر بن المُثنَّي(ت ٢١٠هـ) إلى مفهوم الالتفات ، بوصفه من طرائق التعبير ، و من سنن العربية ، و أنه مما جاء به الذكر الحكيم ، حين علَّق على قراءتىْ جر الكاف و نصبها فى قوله – تعالي : " مالك يوم الدين ".[١١] وذهب إلى أن النصب فيها على النداء ، مجازه : يا مالك يوم الدين ؛ لأنه يُخاطب شاهدًا ؛ ألا تراه يقول : إيَّاك نعبدُ . فهذه حجة لمن نصب ، و مجاز من جرَّ : مالك يومِ الدين . أنه حدَّث عن مخاطبة غائب ، ثم رجع فخاطب شاهدًا ؛ فقال : إيَّاك نعبدُ و إيَّاك نستعين اهدنا.[١٢]

ويقترب الفرَّاء(ت ٢٠٧هـ) من التحديد الاصطلاحي لمفهوم الالتفات ، ويُردد ذلك فى مواضع متعددة ، من ذلك ما أشار إليه فى قوله – تعالي : " كلَّا بل تحبُّون العاجلةَ . وتذرون الآخرة ".[١٣] قال : و قرأها ابن كثير : (بل يُحبُّون) المعجمة بالياء المثناة التحتية ، و القرآن يأتى على أن يُخاطب المنزَّلَ عليهم أحيانًا ، و حينًا يُجعلون كالغُيَّب ".[١٤] ويذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن أول من اقترح للالتفات هذا الاسم الاصطلاحيَّ ، هو الأصمعي (ت ٢١٦هـ) [١٥] من دون أن يذكر له تعريفًا ، بل أطلقه على ما يُعرف بـ : التذييل ؛ فقد روي أبو هلال العسكري ، قال : أخبرنا أبو محمد ، قال : قال الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير ؟. قال : لا . فما هى ؟ . فقال :

---

[٩] الخصائص ، لابن جني ، تحقيق : محمد على النجار ، (د . ط) دار الهدي للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ٢ : ٤٠

[١٠] البلاغة العربية ، تأليف : عبد الرحمن حبنكة الميداني ، (د. ط) دار القلم والدار الشامية ، دمشق ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م : ٤٧٩-٤٨٠ .

[١١] سورة الفاتحة : ٤

[١٢] انظر : مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع ، لابن خالويه ، (ت ٣٧٠هـ) ، شرح العلامة الألماني ، برجشتراسر ، (د . ط) مكتبة المتنبي ، القاهرة ، (د . ت): ١

[١٣] سورة القيامة : ٢٠ - ٢١

[١٤] معاني القرآن ، للفرَّاء ، تحقيق : محمد على النجار ، (د . ط) الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة ، (د . ت) ، ٣ : ٢١٢

[١٥] انظر : البلاغة تطور وتاريخ ، د: شوقي ضيف ، ط٩، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م : ٣٠

Doi: 10.12816/mdad.2021.152298

أتنسي إذ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمى	بعود بشامةٍ سقي البشام .[١٦]

أما تراه مقبلًا على شعره ، حتى إذا التفت إلى البشام فدعا له ، و قوله :

طرب الحمام بذي الأراك فشاقني	لا زلت في غُلل و أيكٍ ناضر.[١٧]

فالتفت إلى الحمام ، فدعا له.[١٨]

- **الالتفات فى اللغة :**

الالتفات من مادة (ل، ف ، ت) ، ويدور لفظ الالتفات فى اللغة حول معاني الصرف والتحوُّل من جهة إلى أخري ، وهو مصدر الفعل (لفت) بمعني: اللَّيّ وصرف الشيء عن وجهته . يقول ابن منظور : لفت وجهه عن القوم ؛ وتلفت إلى الشيء ، والتفت إليه : صرف وجهه إليه ؛ ولفته عن الشيء يلفته لفتًا :صرفه ، فاللفت هو الصرف. يُال : ما لفتك عن فلان . أى : ما صرفك عنه ، واللفت : لواه عن رأيه ، وقيل : لـيُّ الشيء عن وجهته ، أى : صرفه عنها ".[١٩]

- **الالتفات فى الاصطلاح :**

لا يكاد المعنى الاصطلاحي يختلف عن المعني اللغوي للالتفات ، فهوفن بلاغي ، ومن أجلِّ علوم البلاغة ، التى تعتمد على الذوق السليم ، والوجدان الصادق ، ويقوم فى جوهره على الإدهاش النفسي ، من تلفت الإنسان يمنة ويسرة ، ومن حيرته بين الدلالات المتتابعة والمتباينة ، وفيه دليل واضح على قوة الفصاحة، واتساع المعاني ، فلا يبرز فيه إلَّا الحذاق من أرباب الفصاحة والبلاغة . وهو: الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، ومن موضوع إلى موضوع ، ومن صيغة إلى أخري ، ليُحدث نوعًا من الإبداع والمتعة ، وهو دليل ثراء فى اللغة العربية ، ومن طرائق اتساعها و بلاغتها .

١- فى اصطلاح القدماء :

مما يعبر عن الالتفات فى اصطلاح اللغويين ما قاله – قدامة بن جعفر: " وهو أن يكون الشاعر آخذًا فى معنى ؛ فكأنه يعترضه ، إما شكٌّ فيه ، أو ظنٌّ بأن رادًا يرد عليه قوله ،

---

[١٦] البشام : شجر ذو ساقٍ و أفنانٍ .

[١٧] ذى الأراك : مكان ينبتُ فيه شجر الأراك . و الأيك : الشجر الملْتَفُّ . وغُلل : المكان الخصيب الذى يجود بالغلَّة .

[١٨] انظر : الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق : على محمد البجاوي ، و محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة البابى الحلبي ، القاهرة ، (د.ت): ٤٣٨ والعمدة ، لابن رشيق ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، ط٥ ، دار الجيل بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م : ٢ : ٤٦ ، والتفاتات جرير (دراسة تحليلية حول نص نقدى) مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ، ع ٢٦،١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٨م : ٥٦

[١٩] انظر: لسان العرب (لابن منظور) تحقيق : عبد الرحمن بن قاسم النجدى ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، بيروت ، ١٩٩٣م .(مادة : لفت)

أو سائلًا يسأله عن سببه ، فيعود راجعًا على ما قدمه ؛ فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه ".[٢٠] وهو: هذا النوع من التعبير ، و ذلك الفن من الكلام ، الذى يظن المخاطب أن محدثه قد فرغ منه ؛ و انتهى من معناه ، و أنه سيترك هذا المعنى و يتجاوزه إلى معنى آخر ، فإذا به يلتفت إلى المعنى الذى فرغ منه ؛ فيذكره بغير ما تقدم ذكره به .[٢١] ومن الالتفات قوله - تعالى : " فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج و سبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ".[٢٢] يقول صاحب الدر المصون : " وفى قوله - تعالى : (رجعتم) التفات ؛ فإن قبله:(فمن تمتع)، (فمن لم يجد) ؛ فجاء بضمير الغيبة عائدًا على (من) ، فلو سيق هذا على نظم الأول ، لقيل : إذا رجع ، بضمير الغيبة .[٢٣] أما ضياء الدين بن الأثير فقد عرَّف الالتفات بقوله: "وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه و شماله ؛ فهو يُقبل بوجهه تارة كذا ، وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ، لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة أخري ، كالانتقال من حاضرٍ إلى غائبٍ ".[٢٤]

٢- فى اصطلاح المحدثين :

الالتفات فنٌ من فنون القول يشبه تحريك آلات التصوير السينمائى ، ينقلها من مشهد إلى مشهد آخر، لمفاجأة المشاهد بلقطات متباعدات ، لكنها تدخل في الإطار الكليّ الذى يُراد عرض طائفة من مشاهده ، تدلّ على ما يُقصد الإعلامُ به .[٢٥] وهو: التحول فى التعبير الكلامى من اتجاه إلى آخر ، من جهات الكلام أو طرقه الثلاث : (التكلم - والخطاب - والغيبة) ، مع أن الظاهر فى متابعة الكلام ، يقتضى الاستمرار على ملازمة التعبير ، وفق الطريقة المختارة ، أولًا ، دون التحول عنها .[٢٦] ويسوق الباحث أمثلة يستشهد بها لفن الالتفات ، و دوره فى رفع الإعلامية النصية ، فمن أمثلته : قوله – تعالى : " و آذان من الله و رسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر .. فإن تبتم فهو خير لكم .." .[٢٧] انظر

---

[٢٠] انظر: تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٤م ، مادة (ل، ف ، ت)، ٢: ١٣٤- ١٣٥

[٢١] فقه اللغة و سر العربية ، للثعالبي ، تحقيق : أملين نسيب ، (ط١) دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م ، ١ : ٤٧٥

[٢٢] سورة البقرة : ١٩٦

[٢٣] الدر المصون فى إعراب الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ، تحقيق و تعليق : الشيخ على معوض و آخرين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ٢: ٣٠٨

[٢٤] المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر ، لابن الأثير ، تحقيق : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، ط٢ ، منشورات الرفاعي ، الرياض ، ١٩٨٣م : ١٨١

(٢٥) دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية: ٤٨٣ – ٤٨٨ .

(٢٦) البلاغة العربية : ٤٧٩ .

[٢٧] التوبة : ٣

إلى الالتفات فى قوله – تعالي : " فإن تبتم فهو خير لكم ". وهو محل الالتفات ، حيث التفت – سبحانه – من الخطاب إلى الغيبة ، فالضمير الأول (أنتم للخطاب) والضمير الثاني (هو للغيبة) والأمران ليس لشخص واحد ، ويبدو التهديد و التخويف واضحين من الدلالة العميقة للآيات . ومن أمثلته قول النجاشيّ : { من بحر الطويل }

فلست بآتيه و لا أستطيعه	ولاك اسقنى إن كان ماؤك ذا فضل .[٢٨]

ومحل الالتفات فى قوله : فلست ، فالضمير (أنا) متكلم ، ثم التفت فى الفعل (اسقنى) فالضمير (أنت) للمخاطب ، وهو التفات من التكلم للخطاب ، ولو لم يلتفت لقال : أُسْقَى . ولعل الغرض منه إظهار الضعف والتودد والاستعطاف . ويعرفه الدكتور عبد الرحمن الميداني بقوله : هو من قبيل خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فهو يدل على مطلق التحوُّل والانتقال – فى التعبير الكلامي – من اتِّجاه إلى آخر ، ومن معنى إلى معني ، أو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، بطريق من هذه الطرق : التكلُّم أو الخطاب أو الغيبة ؛ بعد التعبير عنه بطريق آخر منه [٢٩] وقد اشترط البلاغيون لذلك أن يكون المسند إليه فى الحالين واحدًا ، وأن يكون التعبير الثاني معدولًا به عن ظاهر الكلام ".[٣٠]

- الالتفات فى اصطلاح الزمخشري :

يجعل الزمخشري الالتفات ضربًا من ضروب علم البيان ، وليس فى كلامه هذا إخراجٌ للالتفات من دائرة علم المعاني ومباحثه ، فقد يُراد بالبيان علم البلاغة بمعناه الأشمل ، الذى يستوعب المعاني والبيان ؛ وإنما كان الالتفات من علم المعاني؛ لأنه مما يترتب عليه من الفوائد ، من جملة خواص التراكيب ، التى يبحث عنها علم المعاني . فيُشير إلى أن المؤلف يرغب من أسلوب الالتفات إلى تغيير أفقه، أو لإدهاشه و مفاجئته ؛ بالانتقال من حال إلى أخري ، ومن أسلوب إلى أسلوب ، أومن معنى إلى آخر ، أومن

---

[٢٨] البيت نسبه سيبويه للنجاشيّ فى الكتاب ، وذكر محقق الكتاب أنه على لسان ذئب ، استضافه النجاشيُّ للطعام و الشراب ، فقبل الذئب الشراب ، واعتذر عن عدم قبوله الطعام ، وذا فضلٍ : فاضلًا عن ربِّك ، وقد أورد ابن هشام الأنصاري عجزه فقط ، وهو الشاهد رقم (٤٣٩) فى مغنى اللبيب ،وهو شاهد على حذف (نون) لكن ، وأشار إلى أن الأصل فى (لاك) : لكن أنْ ؛ فطُرحت الهمزة للتخفيف ونون (لكن) لالتقاء الساكنين ، هو من أبيات رواها البغدادي فى الخزانة ، للبغدادى ، ط بولاق ، ١٢٩٩هـ ٤ : ٣٦٧ ، وانظر: الكتاب ، لسيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ،١ : ٢٧-٢٨

[٢٩] انظر : البلاغة العربية ، أسسها و علومها ، فنونها ، د : عبد الرحمن الميداني ، ط١ ، دار القلم ، ١٩٩٦م ، ١: ٤٧٩، وانظر : من أسرار اللغة العربية ، د : إبراهيم أنيس ، ط٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨م : ١٥٨

[٣٠] انظر : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، د : أحمد سعد محمد ، ط٤ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م : ٣٣٢

طريقة إلى أخري ، فكأن المؤلف يكيِّف الكلام بحسب المتلقى ومقامه، لذا يقول: " إن الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على واحد ، وتختص مواقعه بفوائد ".[٣١] من الجيد التنبيه إلى أنه ليس صحيحًا القول بأن الزمخشري هو أول من بيَّن القيمة الفنية و البلاغية لفن الالتفات ، وأظهر جماله و محاسنه [٣٢] فقد سبقه إلى ذلك ابن جنِّى (ت ٣٩٢هـ) فعلى الرغم من أنه لم يُسمِّه باسمه ، فإنه ذكر أبعاده ، ووظَّف ذلك فى توجيهه للقراءات ، فى تعليقه على قوله – تعالي : " فبذلك فلتفرحوا".[٣٣] بالتاء [٣٤] يقول ابن جني :" و الفارق بين قراءة الياء التحتية المثناة المعجمة ، و اختها التاء يدلك على تمكُّن أمر الحاضر ، أنك لا تأمر الغائب بالأسماء المسمي بها الفعل فى الأمر ، نحو : صهْ ، و إيهْ ، ولهذا المعني قوى ضمير الحاضر على ضمير الغائب ، فقالوا : أنت و هو ؛ فلما صاغوا لهما اسمًا واحدًا صاغوه على لفظ الحضور ، لا لفظ الغيبة ؛ فقالوا : فيضموا الحاضر إلى الغائب ، فهذا كله يُريك استغناءهم بقم عن لتقُم و نحوه و كأن الذى حسَّن التاء – هنا – أنه أمرٌ لهم بالفرح ، فخُوطبوا بالتاء ، لأنها أذهبُ فى قوة الخطاب ".[٣٥] لكن يُمكن أن يُقال إن الزمخشري قد نقل أبعاد الالتفات من التنظير إلى التطبيق ، وأبان فيه عن مواضع حُسن ، وهذا ما أكده القزوينى ، حيث يقول : " واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ، ووجه حُسنه على ما ذكر الزمخشري هو: تنشيط ذهن السامع ، و إيقاظ إصغائه إلى البلاغ و صاحبه ".[٣٦]

- **القوالب اللغوية و الالتفات (قوة الالتفات بالأفعال) :**

تتباين قدرة القوالب اللغوية على حمل أبعاد الالتفات ، فنري الأسماء لا تحمل تلك القدرة ، في حين تتقاسمها الأفعال و الحروف ، كلٌّ بنصيب ؛ إذ للأفعال الأثر الكبير فى تلوين الأساليب ، وتنويعها ، و إثارة فعاليتها ؛ لما تحدثه من حركية فى المعاني ، بفعل النشاط الذى تبثه فى العبارات ، حيث الانتقال من الماضى إلى المضارع إلى الأمر .

---

[٣١] الكشاف ، ١ : ١٦٣

[٣٢] ذهب إلى ذلك الدكتور محمد أبو موسي ، فى كتابه : البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري ، ط٢ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٨م : ٤٤٣

[٣٣] سورة يونس – عليه السلام : ٥٨

[٣٤] وهى قراءة : النبى – صلى الله عليه و سلم – وعثمان وأُبيّ بن كعب ، و الحسن ، و أبى رجاء ، و محمد بن سيرين ، و الأعرج . انظر : المحتسب ، لابن جنِّى ، تحقيق : على النجدى ناصف ، و الدكتور : عبد الحليم النجار ، و الدكتور : عبد الفتاح شلبى ، (د . ط) المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ١ : ٣١٣

[٣٥] انظر : المحتسب ، لابن جنِّى ، تحقيق : على النجدي ناصف وآخرين ، (د. ط) المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، ١ : ٣١٤

[٣٦] انظر : الإيضاح ، للخطيب القزوينى ، (د. ط) ، دار الكتب العلمية ، ، بيروت ، (د.ت) :٧٥

وقد أشار الزمخشري إلى دور الأفعال الحاسم فى التخصيص و حُسن الدلالة ، واستحضار الصورة ، لقدرتها على تحديد الحدث و زمنه وإشارته ، وعلى ذلك وجَّه استخدام المضارع بدلًا من الماضى، وقد عد ذلك من الالتفات الحسن ، وهو التفات خاص بالزمن ، وفيه التفات من زمن الحال إلى زمن الماضى؛ فى قوله تعالى: " ففريقًا كذبتم و فريقًا تقتلون".[٣٧]

وقد كان تسلسل الكلام يقتضى أن يقال : قتلتم ؛ ليحدث نوعًا من التناسب و الثبات ؛ لكن لما كان الأمر فظيعًا ، وأُريد استحضار الصورة فى النفوس ، وتصويره فى القلوب جىء بالمضارع ، وقد جاء – تعالى- بالمضارع ؛ عوضًا عن الماضى لاستحضار تلك الحال الفظيعة ، التى عليها اليهود ، وهى حالة قتلهم رسلهم ، كما أن فى صيغة (تقتلون) بالمضارع مراعاة للفواصل ، بذلك تحققت بلاغة المعنى وحُسن النظم . وقد عبَّر القرآن بصيغة المضارع ؛ ليدل - أيضًا - على استمرا ر اليهود فى قتل الأنبياء ، يقول الزمخشرى : " فإن قلت : هلَّا قيل : وفريقًا قتلتم ؟. قلت : هو على وجهين ، أن تُراد الحال الماضية ؛ لأن الأمر فظيع ، فأُريد استحضاره فى النفوس ، وتصويره فى القلب ، وأن يُراد : و فريقًا تقتلونهم بعد ؛ لأنكم تحومون حول قتل محمد – صلى الله عليه و سلم – لولا أنى أعصمه منكم ، ولذلك سحرتموه ، وسممتم له الشاة ".[٣٨]

أشار الزمخشري إلى أن التفات الأفعال قد يتحقق فى الصيغة الجذرية الواحدة ، مع تحوُّل فى الحدث والزمن والدلالة ، كما فى قوله – تعالي : يسألونك ماذا يُنفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين ..".[٣٩] والالتفات بين الصيغتين (ينفقون) بلفظ المضارع ،و(أنفقتم) بلفظ الماضى ،وفى هذا السياق يقول الزمخشري :" فإن قلت " كيف طابق الجواب السؤال فى قوله :" قل ما أنفقتم". وهو قد سألوا عن بيان ما ينفقون ، وأُجيبوا ببيان المصرف؟. قلتُ : قد تضمن قوله : ما أنفقتم (من خيرٍ). بيان ما يُنفقونه ، وهو كلُّ خيرٍ، وبُنى الكلام على ما هو أهم ، وهو بيان المصرف ، لأن النفقة لا يُعتد بها إلَّا أن تقع موقعها.[٤٠]

- **اللغــة العرفيــة :**

ويستخدم الالتفات أفعالًا عُرفية فى الحياة اللغوية لأطراف الخطاب (المؤلف، و المتلقى ، والسياق) حتى يستطيع المتكلم أن يُفهم المتلقي قصدًا ما بمنطوقٍ محددٍ ، و يُعلمه ما يريد منه ؟ مع تعظيم قدرة الغرابة و الغموض و الخداع اللفظي فى تكثيف الدلالة و شحن الألفاظ. و قد يُعبر عن آلية الالتفات بالعبارات الآتية :

---

[٣٧] سورة البقرة : ٨٧
[٣٨] الكشاف ١ : ١٦٣
[٣٩] سورة البقرة : ١١٥
[٤٠] الكشَّاف ، ١ : ٢٤٦

- أنا المؤلف أبلغك (المتلقي / المعني (س) / أصرح لك أو أَضمِّن لك / ثم أنتقل إلى أن تتحدث أنت (المعني) (ص) ثم أعود إلى الحالة (س) بالطريقة (ع) لأوضح لك أو أفسِّر أو أفصِّل أو أؤكِّد لك الحالة (س) ، و يبدو من تصرفي اللغوي ارتباطى بالحالة (س) .موضوع النص .
- أو أنقل لك خبرًا ثم أوجهك نحوه ، و أستثمر لك دلالاتى التعبيرية ، أو أحملك على فعل ما ، ثم ألزم نفسى بفعل ما / الفعلان جميعهما مرتبطان بالخبر الأول ، مستخدمًا عوامل الاستثارة الذهنية و الوجدانية لك .و هذه الحالة (س) قد تكون خبرًا / إيجابًا / سلبًا / تقويمًا / سلوكًا / معلومات / أو أن أطلب منك أن تتخذ موقفًا ، أو تبدى رأيًا / نحو فعل لغوي / أفعال لغوية ، ترتبط بنواح دلالية .

ومما يرفع من الكفاءة الإعلامية فى أسلوب الالتفات عند الزمخشري أن يكون المؤلف على خلفية تامة بأحوال المتلقى ؛ ظاهرها و باطنها ، مدركًا أنه قادر على المتابعة و اصطياد القصد ، وأنه كلما تعددت قراءته التذ وتوحد مع المؤلف ، وصار أحرص على المتابعة ، وفى هذا السياق يقول الزمخشري : " و قد يعدل المؤلف من المضمر إلى الاسم الظاهر ، مراعاة لقرينة علم المخاطب ، و ثقة فيه ، و يأتى ذلك العدول ليتكمن المؤلف من إجراء صفات على هذا الاسم ، و فيه تفخيم المتلفت إليه ، ففى قوله – تعالي : " يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا الذى له ملك السماوات و الأرض لا إله إلا هو يحيى و يميت فأمنوا بالله و رسوله النبى الأمى .. ".[٤١] يقول : " فإن قلت : هلا قيل : فآمنوا بالله و بى ، بعد قوله : " إنى رسول الله إليكم ".؟ قلت : عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر؛ لتجري عليه الصفات التى أُجريت عليه، ولما فى طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليُعلم أن الذى وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبى الأمى، الذى يؤمن بالله و كلماته ؛ كائنًا من كان أنا أو غيري، إظهارًا للنصفة ، وتفاديًا من العصبية لنفسه ".[٤٢]

- **تنـــوع الأسلوب و التفنن فيه :**

يسهم الالتفات فى تحقيق التماسك النصى ؛ حيث يقوم على تنوع الأساليب و تغييرها ، مع تغيير الصيغ ، والإطارين الزمانى و المكانى للدلالة ، وخضوع الكيان الشكلى لتلك الضوابط ، حيث تتغير الصيغ الصرفية وفقًا لضابط البعد الدلالي ؛ لذا يحاول المؤلف تلوين تراكيبه و كلماته ، بل و حروفه ، قاصدًا مباغتة المتلقي ، و التأثير فيه ؛ بتقله من خبر إلى آخر ، و من قضية إلى أخري ، و من قصده إلى تهميشه إلى إدراجه طرفًا مهمًا فى خطاب موجه إليه ، أو إلي غيره ؛ إذ يقوم الالتفات على المشاكسة اللفظية (الشكلية)

[٤١] سورة الأعراف : ١٥٨
[٤٢] الكشاف ١ : ٧٣

الدلالية ، فيلجأ المؤلف إلى غض الطرف عن القضية التى يتناولها إلى قضية أخري ، ثم يعود إلى قضيته الأولى التى كان بصددها .

يحقق الالتفات حالة من (التفنن) التلوين الشكلى و الدلالي ، فتارة تضع المتلقى فى بؤرة الاهتمام ، فتوجه حديثك إلى نفسه مباشرة ، و أخرى تجعله هامشيًّا ، و ثالثة تجعله شريكًا للمتلقى فى قصده ، و رابعة تجعله فاعلًا فى كل حدث شكلة دلالي ، و خامسة تعتمد على تحقيق لذة له من خلال الغموض الفني ، الذى يحقق له هزة وجدانية ، تدفعه إلى التفاعل ، و التفهم ، و التوحد ، و الإنتاج ؛ كل ذلك بعيدًا عن الرتابة – القول المعاد أو النمط الواحد - التى تنفر منها نفوسنا ، و لا تستعذبها أذواقنا ، و لا تتفاعل معها أحاسيسنا ، و لا تحقق لنا جمالًا نتعايش معه .

ويروم المُلتفِت مباغتة المتلقى و التأثير فيه ، بنقله من قضية إلى أخري ؛ بالتجنيس بين التراكيب و التلوين فى الألفاظ و الحروف ، وقد أدرك الزمخشري ما فى تنويع الأسلوب من لذة وإدهاش ، حين عدَّ اللفت و الفتل أخوين ، و جعلهما بمعنى الانصراف [٤٣] فى قوله – تعالي : " قالوا أجئتنا لتلفتنا عمَّا وجدنا عليه آباءنا " . [٤٤]

يدرك المتأمل لكلام الزمخشري عن الالتفات أنه يجعل التغيير فى الأسلوب ، و التلوين فى الكلام مخلصًا مما تنفر منه نفوسنا و أذواقنا و أحاسيسنا الجمالية ، التى تملُّ النبرة الواحدة و النغمة نفسها ، و الإيقاع عينه ، و القول المعاد ، و أن البحث عن اللذة و توحد الإحساس هو الباعث على ابتكار الالتفات ، استجابة لأفق انتظار المتلقي ، أو لتغييره ، أو لإدهاشه ، أو مفاجأته ؛ بالانتقال من حال إلى حال ، و من معنى إلى معني ، فالمتلقى – فى الالتفات – ناطقٌ صامتٌ ، بينما يستحضر الملقى سؤال هذا المتلقي ، فيجيب عنه ، وبذا يتحقق الحجاج ، الذى يكون فيه المتلقى حاضرًا بالقوة ، و الملقي حاضرًا بالفعل ، فمراعاة لنفسية المتلقي و ذوقه تحدث التنويعات و التلوينات و التحويرات فى أشكال التعبير و بناه و دلالاته ". [٤٥]

كما فى قوله – تعالي : "إيَّاك نعبدُ و إياك نستعين ".[٤٦] يقول : وممَّا خُصَّ به فى هذا الموضع أنه لما ذُكر الحقيقُ بالحمد ، وأجري عليه تلك الصفات العظام ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن ،حقيق بالثناء ، وغاية الخضوع و الاستعانة فى المهمات ؛ فخوطب ذلك المعلوم المتميّز بتلك الصفات ، فقيل : (إيَّاك) . يا من هذه صفاته ، نخصُّ بالعبادة و الاستعانة ، لا نعبد غيرك ، و لا نستعينه ؛ ليكون الخطاب أدلَّ على أن العبادة له ، لذلك

---

[٤٣] انظر : الكشَّاف ، ٢ : ٢٣٥

[٤٤] سورة يونس – عليه السلام : ٧٨

[٤٥] اللغة ودلالتها : تقريب تداولي للمصطلح البلاغي ، محمد سويرتي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٢٨ ، العدد الثالث ، يناير / مارس ٢٠٠٠، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت : ٤٥

[٤٦] سورة الفاتحة : ٥

التميُّز الذى لا تحقُّ العبادة إلَّا به ". [٤٧]

- **تنوع الفصـــاحـة :**

وقف الزمخشري عند الالتفات المتحقق من تبـايُن القراءات القرآنيـة ، والـذى يُجسِّد قوة فى الفصاحة ، ودقة فى البلاغة ، وأن المؤلِّف يروم التنوع ، ليُحقق أبعادًا لغوية وجماليـة فى نفس المتلقِّي ، كما فـى توجيهـه لقراءة اليـاء والنـون مـن كلمـة (فيُوفِّيهم). مـن قولـه – تعالي : " فأما الذين كفروا فأُعذبهم عذابًا شديدًا فى الدنيا و الأخرة و ما لهم من ناصرين . وأمـا الـذين ءامنـوا و عملـوا الصـالحات فيُوفِّيهم أُجورهم و الله لا يحـبُّ الظـالمين". [٤٨] يُشير الزمخشري إلى أن الخطاب القرآني قد انتخب قوالـب لغويـة ، تحمـل المعنـى تامًّـا ، مـع جـرس موسـيقيٍّ ، فقد أسـند الخطـاب القرآنـي الفعـل (أعـذِّب) ، والفعـل (أحكم) إلـى ضمير المتكلم وحده ، و هو الله – تعـالي – تـارة مـن بـاب تفسير المتقدم ، و أخـري مـن باب الإشارة ، هذا فيه ما فيه من تنوع الفصاحة ، ثم يُسند الخطاب القرآنـي الفعل (وفَّـى) إلـى أمـرين : ضـمير المفـرد المعظـم نفسـه ، فـى قـراءة (فنـوفيَّهم) بـالنون والياء ، وإلـى ضـمير المفرد الغائـب ، وهـو - ذاتـه - المفـرد المعظـم نفسـه ، وكـان اختـلاف القـراءتين اختلافًا ، عكس حالة من تنوع الفصاحة المقصودة ، التى ترتكز علـى المخالفـة الصـرفية فـى بنيـات القوالـب اللغويـة ، تعكـس قـدرة المؤلـف و تمكنـه ، وتلـك الحالـة المتفـردة مـن الفصاحة منهج يقوم عليه بناء القرآن الكريم فى كل قوالبه اللغوية . [٤٩]

- **الالتفات مزيةُ البلاغة :**

قد يُعدل عن المضمر إلى الظـاهر و العكس ، وهذا ضـرب خـاص مـن الالتفـات ؛ يُعبِّر عن تجـاوب النـظم ، ويُسـهم فـى إبـراز قصـدية الالتفـات ، وأن المظهـر خليـقٌ بـالظهور ، والتنبيه على ارتباطه بربه ، وحث البشر على تعظيمه ، وإجلاله فى نفوسهم ،إضـافة إلـى تأكيد الخبر ، والإشـارة إلـى ضـرورة التسليم لـه واتِّباعـه ، كمـا فـى قولـه – تعـالي: " قل يأيُّها النـاسُ إنِّـى رسـولُ الله إليكم جميعًـا الـذى لـه مُلك السماوات والأرض لا إلـه إلَّا هو يُحـي و يُميتُ فـأمنوا بـالله و رسـوله النبـيِّ الأُمِّـيِّ الـذى يُؤمنُ بـالله وكلمتـه واتَّبِعـوه لَعلَّكم تهتدون ". [٥٠] ينطلق الزمخشري فـى قولـه بالجمـال فـى هذه الآيـة الكريمـة أنـه قـد ذكـر الخطاب القرآني : فأمنوا بالله و رسوله . بعد قوله : إنِّى رسولُ الله إليكم .إذ يُعد التركيـب القرآني الأول قوالـب لغويـة استثمرت الطاقـة الدلاليـة الأسماء الظـاهرة ، ويعد التركيـب الثانى قوالب لغوية استثمرت الطاقة الدلالية للمضمرات ،

يقول الزمخشري :" فإن قلتَ : هلَّا قيل : فـآمنوا بـالله وبـى. بعد قولـه : إنـى رسـول الله

---

[٤٧] انظر : الكشَّاف ، ١ : ٣٢

[٤٨] سورة آل عمران : ٥٦ ، ٥٧

[٤٩] انظر : الكشَّاف ، ١ : ٣٣٧

[٥٠] سورة الأعراف : ١٠٨

إليكم.؟. قلتُ : عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التى أُجريت عليه ، ولما فى الالتفات من مزية البلاغة ، وليُعلم أن الذى وجب الإيمان به واتِّباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبيُّ الأُميُّ ، الذى يؤمن بالله و كلماته ، كائنًا من كان أبًا أو غيري ؛ إظهارًا للنصَفة وتفاديًا من العصبية لنفسه ".[٥١]

من المفيد الإشارة إلى أنه ليس تصرف الالتفات تصرفًا لغويًّا فحسب ، أى : على مستوى الصياغة و تلوين الأصوات ، و تنويع مصادر الخطاب ، وهو ليس مجرد طريقة من طرائق التعبير فى اللغة العربية ، التى تقف عند السطح اللغوي إنما هو كيان مقصود ، يحمل أغراضًا بلاغية ، أو يدلُّ على التوسع فى اللغة ، أو يحمل أبعادًا نفسية و جمالية . مما يجعل من الضرورة التعرض للأبعاد النفسية لأسلوب الالتفات .

المحـــور الثاني : البعد النفسي للالتفات

من المفيد الإشارة إلى أن الزمخشري قد عدَّ الالتفات من ضروب علم البيان ، لما كان يمثله هذا المفهوم من كيان متسع ؛ ليشمل كل صنوف البلاغة ، فتعمق فى مفهومه ، وعرَّفه تعريفًا بلاغيًّا ، ونقله من التنظير إلى التطبيق ، أو من المعيارية إلى الاستعمال . وتقوم التفاتات الزمخشري - للتأثير فى نفس المتلقي - على أدوات التلوين الشكلى و الدلالي و الجمالي ، الذى يحقق ما يلى :

١- التصاعد الدلالي فى نفس المتلقي .

٢- يحقق قرعًا متواليًا على أوتار النفس ، يحملها على اليقظة و التنبه .

٣- يعتمد على أسلوب المراوغة و المغايرة فى إدراك البعد الجمالي للنص .

٤- فى انتقاله الدائم بين السؤال و الجواب ، و الذى عبرت عنهما الصيغتان : (فإن قلتَ ؟ . قلت) .

٥- استخدامه للمادة المعجمية التى تدول حول الانتقال و المغايرة ، ممَّا يُمكن أن نُسمِّيه : صيغة الالتفات : (فقد عدل) .

- **استحضار الذات المخاطَبة (المنبهات الداخلية) :**

عدّ الزمخشري الالتفات من المحركات الداخلية للنفس ، إذ يوفِّر قدرًا كبيرًا من الاستثارة النفسية والذهنية والجسدية ، طالما أن المؤلِّف لم يتوقف عن إرسال مثيرات ، لفظية أو جسدية أو نفسية أو سياقية ؛ فهو –إذًا- حديثُ المواجهة ، والإقبالِ على المخاطِب ، وهو حديث النفس ؛ وما ذاك إلَّا لاستحضار الذات الفاعلة ، وجذب المتلقين، ولفت انتباههم إلى تأمِّل المعاني التى تتعلق بها مواضع العدول ، والتفكير فى الأغراض التى تنعقد عليها ؛ ترغيبًا وترهيبًا فى مقامات الوعد و الوعيد.[٥٢]

جاء فى الكشَّاف فى قوله – تعالي : " وإذ نادى ربُّك موسي أن ائت القوم الظالمين قوم

---

[٥١] الكشَّاف ، ٢ : ٧٢ - ٧٣

[٥٢] انظر : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية : ٣٤٢

فرعون ألا يتقون".[٥٣] . يقول الزمخشري : " و أما من قرأ : ألا تتقون ؟. على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم ، وجّبْهِهِمْ ، و ضرب وجوههم بالإنكار و الغضب عليهم ، كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه ، و الجانى حاضر ، فإذا اندفع إلى الشكاية و حرَّ مزاجه ، و حمى غضبه ، قطع مباتة صاحبه ، و أقبل على الجاني يوبخه ويعنف به . فإن قلت : فما فائدة هذا الالتفات و الخطاب مع موسى – عليه الصلاة والسلام – فى وقت المناجاة ، والملتفت إليهم غُيَّب لا يشعرون ؟. قلت : إجراء ذلك فى تكليم المرسل إليهم ؛ فى معنى إجرائه بحضرتهم ، وإلقائه إلى مسامعهم ؛ لأنه مبلّغه ومنهيه ، و ناشره بين الناس ، وله فيه لطف و حث على زيادة التقوي ، وكم من آية أنزلت فى شأن الكافرين ، وفيها أوفر نصيب للمؤمنين ، تدبرًا لها ، واعتبارًا بموردها ، وكأنه يقول : ألم تتق . ألم تستح من الناس؟ ".[٥٤]

وينطوي معنى الالتفات عنده على مطالبة المخاطبين بالإقبال ، أو مواجهتهم بالمُلقي إليهم ، بأن يحمل الالتفات معنى التوبيخ و التقريع و الإنكار ، أو للدلالة على شدة الغضب ؛ لأجل ذلك يحمل الزمخشري قراءة (ألا يتقون) بالياء المعجمة التحتية المثناة ، ويُشير أن فيه معنى التخويف ، يقول : إن المعنى : ألا يا ناسُ اتَّقون . كقوله : ألا يا اسجدوا ، فيخوفهم من ثلاثة : التكذيب ، و ضيق الصدر ، وامتناع انطلاق اللسان . [٥٥]

ويذكر الزمخشري أن فى الالتفات إلهابًا للنفس ، ودفعها إلى الإثارة ، لما يعرض لها من صنوف التوبيخ ، والردع والزجر ، والمواجهة ، وأن فيه كشفًا لتباين الأنفس ، وفضحًا لدرجة الإيمان ؛ ثبوتًا ، واضطرابًا ؛ يقول معلِّقًا على القراءة السابقة: و قرئ : تبغون بالتاء و الياء ، وقرأ السُّلَّميُّ: أفحكمُ الجاهلية يبغون؟. برفع الحكم على الابتداء ، و إيقاع يبغون خبرًا ، و إسقاط الراجع عنه ؛ كإسقاطه عن الصلة فى : " أهذا الذى بعث الله رسولًا ".[٥٦] وعن الصفة فى : الناس رجلان : رجلٌ أهنتَ و رجلٌ أكرمتَ ، وعن الحال فى: مررتُ بهندٍ يضرب زيدٌ . و قرأ قتادة : أفحكمَ الجاهلية على أن هذا الحكم الذى يبغونه إنما يحكم به أفعى نجران أو نظيره من حكام الجاهلية ، فأرادوا بسفههم أن يكون محمدٌ خاتمُ النبيين حكمًا ، كأولئك الحكام.[٥٧]

وعنده أن فى الالتفات تحديدًا للذات المخاطبة ، وتخصيصًا له ببلاغ ما ، وهذا فيه ما فيه من الضغط على تلك الذات ، و تكثيف الشحنة الدلالية الموجهة إليها ؛ فتدرك أنها المقصودة من خطاب الالتفات ، من دون غيرها ، فيدفعها ذلك إلى اليقظة ، محقِّقًا متعة

---

[٥٣] سورة الشعراء : ١٠ - ١١
[٥٤] الكشاف ٣ : ٢٦٧
[٥٥] انظر : الكشَّاف ، ٣ : ٢٦٧
[٥٦] سورة الفرقان : ٤١
[٥٧] الكشَّاف ، ١ : ٥٦٦

التلقي أو صدمته . كما فى توجيهه قراءة (ستعلمون) بالتاء فى قوله – تعالي: " سيعلمون غدًا من الكذَّابُ الأشِرُ ".[٥٨] وفى قراءة (سيعلمون) بالياء إخبارٌ من الله – تعالي – و ردٌّ على كلامهم ، و اتهامهم صالحًا بالكذب ، أما قراءة (ستعلمون) بالتاء ؛ على حكاية ما قال لهم صالحٌ مجيبًا لهم ، أو هو كلامُ الله – تعالي – على سبيل الالتفات " .[٥٩]

أما الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة فيدل على التصريح بما تحمله الأنفس من مشاعر؛ وليدل على توبيخ الملتفَت عنه واستهجانه ، ووسمه بأنه خلاف الحقيقة ، ولتشريف الملتفت إليهم ، وأن صنيعهم يستوجب التشنيع بهم ، كما فى قوله – تعالي:" لولا إذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفكٌ مبينٌ ".[٦٠] يقول الزمخشري :" فإن قلتَ : هلَّا قيل : لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرًا و قلتم ، و لم عُدل عن الخطاب إلى الغيبة ، و عن الضمير إلى الظاهر؟. قلتُ : ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات ، وليُصرِّحَ بلفظ الإيمان ؛ دلالةً على أن الاشتراك فيه مقتضٍ ألَّا يصدِّقَ مؤمنٌ على أخيه ، ولا مؤمنةٌ على أختها قولَ عائبٍ و لا طاعنٍ ؛ و فيه تنبيهٌ على أن حقَّ المؤمن – إذا سمع قالة فى أخيه – أن يبنيَ الأمر فيها على الظنِّ ، لا على الشكِّ ،وأن يقول بملء فيه – بناءً على ظنِّه بالمؤمن الخيرَ : " هذا إفكٌ مبينٌ ".[٦١] هكذا بلفظ المصرِّح ببراءة ساحته ؛ كما يقول المستيقن المطَّلع على حقيقة الحال ، وهذا من الأدب الحسن ، الذى قلَّ القائمُ به ، والحافظ له ، وليتك تجد من يسمع فيسكتُ ، ولا يشيع ما سمعه بأخواتٍ ".[٦٢]

- **توسيع الدلالة :**

جعل الزمخشري الالتفات سببًا فى توسيع الدلالة و تفصيلها ، وإن بدا للظاهري عدم استواء النظم بتمامه ؛ و قرر أن فى الالتفات خروجًا عن اللغة العرفية ، التى تواضع عليه أبناؤها ، من لزوم أن تمهد الجملة الأولى لدلالة الثانية ، و تكون الثانية نتيجة للأولى أو عنها ، أو تفصيلًا لها ، بل قد يأتى الالتفات لصدمة الأفق لدى المتلقى ، و يكون ذلك لعلة التفصيل ، أو إقرارًا من المؤلف بامتلاكه لأبعاد النظم ، مع دورانه حول أفق الانتظار ، لكنه يتعمق دلاليًّا ، و يشير إلى فى دلالة الالتفات عمقًا ، يلزم المؤلف المتلقى به ، على سبيل الإقرار و الخضوع . ذلك ما قاله الزمخشري من أن الله – سبحانه وتعالي – قد أتبع حديثه وأمره لعباده بالتقوى بحديث عن الخلق ، وكنهه ، وأنه – تعالي – خلقنا من نفس واحدة ، ثم فرَّع من أصل واحد أمما و شعوبًا ، وارتبطوا

---

[٥٨] سورة القمر : ٢٦
[٥٩] انظر : الكشاف ، ٤ : ٣٧٥
[٦٠] سورة النور : ١٤
[٦١] سورة النور : ١٤
[٦٢] الكشَّاف ، ٣ : ١٩٢ – ١٩٣

بأرحام ، فيقرر أن رب سائل يسأل : ألا يقتضى سداد النظم و جزالة الكلام أن يجاء عقب الأمر بالتقوي بما يوجبها ، أو يدعو إليها ، ويبعث عليها ؟. وينتصر الزمخشري للأسلوب القرآني ، وأن فى الالتفات نكتة بلاغية دلالية عقدية ، وهى أن فى أسلوب الالتفات دلالة على مقدرة الله العظيمة ، و أن الالتفات – هنا – من الخطاب إلى الغيبة ؛ وقد أدى دورًا دلاليًّا حمل معه الإقرار بقدرة الله العظيم ، الذى خاطب عباده بقوله : (ربكم) ثم فصَّل قضية الخلق ؛ تهديدًا للعصاة ، و تذكيرًا بقدرته على كل شىء ؛ فألزمهم أن يتقوه ، فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله .[٦٣] ولنا أن نحس الاتساع الدلالي فى المغايرات الدلالية التى يحققها قراءة الفعل (يعملون) بالياء و التاء ، فى قوله – تعالي : " و ما الله بغافلٍ عمَّا يعملون ".[٦٤] فمن قرأ بالتاء ؛ فيحتمل أن يكون المراد به هم المؤمنون ، بدليل قوله : فولِّ وجوهكم شطره . أو أن يُراد به أهل الكتاب ، فيكون من الالتفات ، و النكتة فى هذا الالتفات تتمثل فى أن خطابهم بأن الله لا يغفل عن اعمالهم ، و أن فى ذلك تحريكًا لهم بأن يعملوا بما علموا من الحقّ ؛ لأن التحويل إلى الكعبة هو الحقُّ ؛ ولأن المواجهة بالشىء تقتضى شدة الإنكار و عِظم الشىء الذى يُنكر ، و من قرأ بالياء ، فالأرجح أنه عائد على أهل الكتاب ؛ لمجىء ذلك فى نسقٍ واحد من الغيبة.[٦٥] ومن أمثلته : الالتفات من مخاطبة الاثنين إلى خطاب الواحد ، كما فى قوله – تعالي :" فلا يُخرجنَّكما من الجنة فتشقي".[٦٦] ففى قوله – تعالي:" يُخرجنَّكما". الخطاب ورد بصيغة الاثنين ، ثم انتقل إلى صيغة المفرد فى قوله – تعالي: " فتشقي". يقول الزمخشري : "وإنما أسند إلى آدم وحده ، فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكها فى الخروج ؛ لأن فى ضمن شقاء الرجل- وهو قيِّمٌ - أهله وأميرهم شقاءهم ، كما أن فى ضمن سعادته سعادتهم ؛ فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة".[٦٧]

- **استنفار الحواس و حسن التخلص :**

أقِرت اللسانيات النصيَّة بتحقق الكفاءة الإعلامية لنص ما ، حين يستوعب الكثير من حواس الإنسان ، وهذا ما عبَّر عنه عبد القاهر، بقوله:" ثم راجع فكرتك، واشحذ بصيرتك، وأحسن التأمل، ودع عنك التجوز فى الرأى؛ هل تجد لاستحسانهم[٦٨] وحمدهم، وثنائهم، ومدحهم منصرفًا؟؛ إلَّا إلى استعارة وقعت موقعها، وأصابت

---

[٦٣] انظر : الكشاف ١ : ٤٢٠ (بتصرف) .
[٦٤] سورة البقرة : ١٤٤
[٦٥] انظر : الكشَّاف ، ١ : ١٩٩ (بتصرف)
[٦٦] سورة طه – صلى الله عليه و سلم : ١١٧
[٦٧،٦٦] الكشَّاف ، ٣ :٨٣.
([٦٨]) إشارة إلى قول كثير عزة :
لما قضينا من منى كل جانب و مسَّح بالأركان من هو ماسح .انظر : الصناعتين: ٤٢

غرضها. ونجد كلام الزمخشري السابق متعمقًا فى الأبعاد النفسية لطرفي الخطاب، والذى يحققها أسلوب الالتفات. فأفاد الزمخشري من حُسْن التخلص في دلالة مصطلح الالتفات، الذى يعبِّر عن الانتقال، فاستخدمه فى التنبيه على طرائق حسن التخلص، فينبغى لمستخدم النص أن يذكر الغرض الأول ؛ بأن يُستدرج منه إلى الثانى، ويجعل مآخذ الكلام فى الغرض الأول صالحة مهيأة؛ لأن يقع بعدها الغرض الثانى موقعًا لطيفًا، وينتقل من أحدهما إلى الآخر انتقالًا مستطرفًا".[٦٩] ولا بد للمؤلف – حتى يرفع من الكفاءة الإعلامية لنصه - من أن " يكيِّف خطابه على قدر عقل متلقيه ؛ ليحصل التفاعل، وكسب استمالة المتلقى ونيل رضاه ؛ لأنه مشارك للمؤلف فى إنتاج النص . وقصد المؤلف قد يكون صريحًا ، فلا يكدُّ ذهن المتلقى فى الوصول إليه ؛ إنما يدرك من خلال ظاهر النص ، وقد يكون مخفيًّا يُتَوَصَّل إليه بحسن إدراك المتلقى للبنية العميقة ، لذا فهو يحتاج إلى جهد.[٧٠] وقد نقل العلوى عن الزمخشرى أن الالتفات يكون فى الكلام " إيقاظًا للسامع عن الغفلة ، و تطريبًا له من نقله من خطاب إلى خطاب آخر ؛ فإن السامع ربما ملَّ من أسلوب، فينقله إلى آخر ، تنشيطًا له فى الاستماع ، واستماله له فى الإصغاء إلى ما يقوله .[٧١] وفى هذا السياق يقول: " هو فن من الكلام جزل فيه هز و تحريك من السامع ، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيًا عن ثالث لكما : إن فلانًا من قصته كيت وكيت . وقصصت عليه ما فرط منه ، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت : يا فلان ! من حقك أن تلزم الطريق الحميدة فى مجاري أمورك ، وتستوى على جادة السداد فى مصادرك و مواردك ، نبهته - بالتفاتك نحوه - فضل تنبيه ، واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء ، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازًّا من طبعه ما لا يجده ؛ إذا استمررت على لفظة الغيبة ، وهكذا الافتنان فى الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف ، يستفتح الآذان للاستماع ، و يستهش الأنفس للقبول ".[٧٢]

ومن أمثلة ذلك –أيضًا- الالتفات من الجمع إلى المفرد ، ثم من المفرد إلى الجمع ، كما فى قوله – تعالي : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم

---

(٦٩) منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، صنعة أبى الحسن حازم القرطاجنى ، تقديم و تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، ط٣ ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨٦م . وط(٢) دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨١م : ٣١٤

(٧٠) دينامية النص (تنظير و إنجاز) للدكتور : محمد مفتاح ، ط٣ ، المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٧٨م .: ٥١

(٧١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، للعلوى ، (د . ط) مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤ م، ٢: ١٣٣- ١٤١، والكشاف١: ١٤ ،١: ٦٤ ، واللغة ودلالتها (تقريب تداولى للمصطلح البلاغى) ، محمد سويرتى ، مجلة عالم الفكر، م ٢٨، ع ٣، : ٤٤- ٤٥

٧٢ الكشاف ١ : ٩٦

عـذابٌ عظـيمٌ ".[٧٣] ففـى الآيـة السـابقة جـاءت كلمـة (قلـوبهم) جمعًـا ، وتوسـطت كلمـة (سمعهم) بإفرادها ، وتلتها كلمة (أبصارهم) جمعًا ؛ فالتفت المؤلف – سبحانه- بمفرد بين جمعين ، وغدا فى الآية تحولان ،يقول الزمخشري : فإن قلت : أىُّ فائدةٍ فى تكرير الجار ، فى قوله : وعلى سمعهم ؟. قلتُ: لو لم يُكرر لكان انتظامًا للقلوب و الأسماع فى تعدية واحدة ، وحين استجدَّ للأسماع تعدية على حدة ؛ كان أدلَّ على شدة الختْم فى الموضعين ، ووُحِّد السمعُ؛ كما وُحِّد البطنُ فى قوله: كلوا فى بعض بطنكم تعفوا .يفعلون ذلك إذا أُمن اللبس ، فإذا لم يؤمن – كقولك: فرسهم وثوبهم ، وأنت تريد الجميع – رفضوه ، ولك أن تقول: السمع مصدر فى أصله و المصادر لا تُجمع ؛فلمح الأصل يدلُّ عليه جمع الأذن ، فى قوله : وفي آذاننا وقرٌ".[٧٤] وأن تقدِّر مضافًا محذوفًا ، أى : وعلى حواس سمعهم.[٧٥]

- **دينامية الاتصال :**

تتمثل القوة النفسية للالتفات فيما تعكسه كل صورة من الصور فى موقعها من السياق الذى ترد فيه ، من إيماءات ودلالات خاصة ، يتضح ، من منهج سيبويه (ت ١٨٢هـ) فى معالجته لضوابط العملية التواصلية ، وفي عنايته بالمتلقى ، وهو يشير إلى ما يُعرف عند المحدثين بضرورة مراعاة المؤلف لأفق انتظار متلقيه ، حال إعلامه بالمضمون القضوي الموجَّه إليه ، فقد ألزم المُعْلِم أن يتدرج في تبليغ المضمون ، بمعنى " أنه يبدأ بالمعروف من قبل المتلقى ، ثم يأخذ في تبليغه بشكلٍ تصاعديّ ؛ أى تقديم المعلومات الجديدة بصورة تدريجية منظمة ، وهو بذلك يساعد المتلقى علَى تحصيل الفائدة من الكلام ، فأساس الدينامية الاتصالية Dynamism Communicational أن المكونات الحوامل للمعلومات ، تتسم بأعلى درجات الحركية التبليغية ، فما يرد أولها ، يكون بدوره أضعف مما يرد آخرها ، وفق سلمية محفوظة ".[٧٦]

وترتفع الإعلامية النصية لبلاغ ما إذا ما تحققت دينامية الاتصال بين طرفي الخطاب ؛ هذا ما أدركه الزمخشري حين جعل المؤلف والمتلقى على درجة سواء ، فكلاهما يحتاج أسلوب الالتفات ، وكلاهما يلتذ به ، وكلاهما يتفنن فى إدراك خلفيات النص وفراغاته واستجلائه ، وتتذبذب كفاءة الإعلامية النصية بين التخييب والتصاعد ، حين يستحوذ المؤلف على الأخبار كلها ، أى يكون هو مصدر الخبر ، أو أن يغيِّب ذاته فى سبيل المتلقى. وذلك أمر قد أشار إليه الزمخشري ، وضمَّنه أسلوب الالتفات ؛ بدا ذلك فى

---

[٧٣] سورة البقرة : ٧

[٧٤] سورة فصِّلت : ٥

[٧٥] الكشَّاف ، ١: ٦٥

([٧٦]) التحليل الوظيفي في الدراسات اللسانية (المفهوم والإجراء)، صلاح الدين علاوي، صحيفة دار العلوم، ع٢٩ ذو الحجة ١٤٢٨هـ /ديسمبر ٢٠٠٧م:٣١٤.

تفسيره لقوله – تعالي : " وإذ نادى ربك موسي أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون ".[٧٧] و محل الالتفات قوله – تعالي : " إذ نادى ربك ". وهو للمخاطب ، ثم يلتفت إلى الغيبة فى قوله – تعالي : " ألا يتقون ". وهو خطاب للغيبة. يقول الزمخشري: " وأما من قرأ : ألا تتقون؟. على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم ، وجبههم ، وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم ، كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه ، والجاني حاضر، فإذا اندفع إلى الشكاية وحرَّ مزاجه ، وحمى غضبه ، قطع مباتة صاحبه ، وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به . فإن قلت : فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى – عليه الصلاة و السلام – فى وقت المناجاة ، والملتفت إليهم غُيَّب لا يشعرون؟. قلت : إجراء ذلك فى تكليم المرسل إليهم ؛ فى معنى إجرائه بحضرتهم ، و إلقائه إلى مسامعهم ؛ لأنه مبلِّغه و منهيه ، و ناشره بين الناس ، وله فيه لطف وحث على زيادة التقوي ، وكم من آية أنزلت فى شأن الكافرين ، وفيها أوفر نصيب للمؤمنين ، تدبرًا لها ، واعتبارًا بموردها ، وكأنه يقول : ألم تتق. ألم تستح من الناس؟ ".[٧٨]

- **كشف دواخل النفس :**

يربط الزمخشري مفهوم الالتفات ببعده النفسي ، الذى يُباشر المتلقِّين ، على اختلاف أفق انتظارهم ، فقد أبرز الالتفات ظنهم الهلاك ، وبالغ فى ذلك و أكَّده ، قد أدرك الزمخشري ذلك البعد ، فى معرض تناوله قوله – تعالي : " و اتقوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله ".[٧٩] وقوله – تعالي : " حتى إذا كنتم فى الفلك و جرين بهم".[٨٠] ويقرر – فى هذا الموضع - أن غرض الالتفات هو الرفق بالمتلقى ، و ظاهر المقام التهديد و الوعيد، و فى ذلك استجلاء لدواخل المتلقى ، و قد علق على قوله – تعالي : " حتى إذا كنتم فى الفلك و جرين بهم".[٨١] بأنه من الالتفات الحسن ، و هو انتقال من الخطاب إلى الغيبة ؛ وأن الغرض منه هو التشهير و النداء ، حتى كأن المتكلم – بهذا الالتفات - يخيل أنه يحكى هذا الأمر المهم ، و يرويه لكل عاقل ، ليستذكره و يستقبحه . ثم يقول : " ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قلت : المبالغة كأنه يذكُرُ لغيرهم حالهم ؛ ليعجِّبهم منها ، و يستدعي منهم الإنكار و التقبيح .[٨٢] فعد الالتفات ضربًا من الاتِّساع فى اللغة ، لانتقاله من لفظ إلى لفظ ؛ لذا يقول الزمخشري : " إن الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب ، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، و إيقاظًا للإصغاء إليه من

---

[٧٧] سورة الشعراء : ١٠ - ١١
[٧٨] الكشاف ٣ : ٢٦٧
[٧٩] سورة البقرة : ٢٨١
[٨٠] سورة يونس : ٢٢
[٨١] سورة يونس : ٢٢
[٨٢] الكشاف ٢ : ٢١٦

إجرائه على واحد ، و تختص مواقعه بفوائد ".[٨٣]

ويري الزمخشري أن الالتفات من الغيبة إلى التكلم قد يحمل معاني نفسية ، يروم المتلقى إخفاءها ، كالإحساس بالتهديد ، والتخويف من مواجهة المُلقى ، فيصير المتلقي أمام دواخله التى صرح بها التفات فى قراءة ما ، فإذا كان الملقى معلومًا خفَّت وطأة الرعب ، أما إن أضمر لأمر ما ، هاجت الأنفس ، وأصاب قلوبها الهلع والخوف ؛ كما فى قراءة (سنلقى) بالياء و النون ، فى قوله – تعالي : " بل اللهُ مولاكم وهو خيرُ الناصرين . سنُلْقي فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم يُنزّل به سُلْطانًا ".[٨٤] فقراءة الغيبة (سيُلقى) تجعل الضمير يعود على الله – تعالي – وأنه – تعالي- مولاهم و ناصر من اتَّبعوا دينه ، وأنه سيقذف الرعب فى قلوب المشركين ، وهذا فيه الكثير من الرجمة ؛إذ إن تجاور الفعل مع (مولاكم) فيه رأفة ، أما قراءة (سنلقى) بالنون ؛ فهى التفات من الغيبة إلى التكلم فائدته تأكيد الهزيمة للمشركين ، واختصاص الله – تعالي – بتعذيبهم ، وهذا فيه ما فيه من القسوة والجبروت ، وإقرارٌ بأن خوفهم ورعبهم وهزيمتهم بسبب إشراكهم".[٨٥]

ومن ذلك قوله – تعالي: " لقد جئتُم شيئًا إدًّا[٨٦] ".[٨٧] فقد ذكر الزمخشري أن فى الالتفات أبعادًا نفسية ، إذ يدل الالتفات على التعرض لسخط الله – تعالي – وتأكيد ذلك ؛ كما فى ورود الآية السابقة بعد آيات كثيرة توجه الحديث فيها إلى الغيبة ، يقول الزمخشري: " و فى قوله – تعالي: " لقد جئتُم ".[٨٨] - وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة ، وهو الذى يُسمى الالتفات فى علم البلاغة – زيادةُ تسجيل عليهم بالجرأة على الله ، والتعرض لسخطه ، و تنبيهٌ على عظم ما قالوا ".[٨٩]

- **تحقيق الأنس و الطمأنينة للأنفس :**

قد يُشير الالتفات عند الزمخشري إلى معاني البُشْرَي و الفوز لجمهور المتلقين ، كما فى قراءة (تكفروه) بالتاء المعجمة المثناة الفوقية ، فى قراءة الجمهور بالياء فى قوله – تعالي : " و ما يفعلوا من خيرٍ فلن يُكفروه ".[٩٠] فقد أشارت قراءة الياء إلى ضمير

---

[٨٣] الكشاف ، ١ : ١٦٣

[٨٤] سورة آل عمران : ١٥٠، ١٥١

[٨٥] الكشاف ، ١ : ٣٨٧

[٨٦] الإد ؛ بالكسر و الفتح : العجب ، أو العظيم المُنكر ، والأدَّة : الشدة ، وأدَّنى الأمر وآداني : أثقلنى ، و عظُم عليَّ أدًّا . انظر : لسان العرب : مادة (أ ، د ، د) .

[٨٧] سورة مريم : ٨٩

[٨٨] سورة مريم : ٨٩

[٨٩] الكشَّاف ، ٣ : ٤٢

[٩٠] سورة آل عمران : ١١٥

الغيبة قبلها ، وهو قوله – تعالي : " من أهل الكتاب أمة قائمة".[٩١] أما قراءة التاء فهى التفات تأنيسًا لهم ، و استعطافًا عليهم ، يقول الزمخشري : " لما جاء وصف الله – عزَّ و جلَّ- بالشكر فى قوله : " والله شكورٌ حليمٌ ".[٩٢] فى معني توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك ؛ فإن قلت : لم عُدى إلى مفعولين ، و شكر و كفر لا يتعديان إلَّا إلى واحد؟. تقول : شكر النعمة ، و كفرها ؟. قلتُ : ضُمِّن معنى الحرمان ، فكأنه قيل : فلن تُحرموه ، بمعني : فلن تُحرموا جزاءه ، و قراءة التاء فيها بشارة للمتقين بجزيل الثواب ، و دلالة على أنه لا يفوز عنده إلَّا أهل التقوى . [٩٣]

- **تأكيد الخبر و تعظيم صاحبه :**

يذكر الزمخشري أن فى الالتفات من الغيبة إلى التكلُّم تأكيدًا للخبر و تعظيمًا لصاحبه ، وذلك فى توجيهه قراءة (ويُعلِّمه) بالياء و النون ، من قوله – تعالي : " قالت ربِّ أنَّى يكون لى ولدٌ و لم يمسسْني بشرٌ و لم أكُ بغيًّا . قال كذلك الله يخلُقُ ما يشاء إذا قضى أمرًا فإنَّما يقول له كنْ فيكون . و يُعلِّمه الكتاب و الحكمة ".[٩٤] فقوله – تعالي: و يعلِّمه . بالياء أو النون ، معطوف على جملة القول ، أما قراءة الياء ، فهى من المقول لمريم على سبيل الاغتباط و التبشير بهذا الولد [٩٥] أما قراءة (نعلمه) بالنون ، ففيه التفات ، انتقل فيه الضمير من الغيبة إلى التكلُّم ، فالضمير فى الجمل السابقة ، تقديره : هو ، يعود على الغائب فى الفعل : قال ، إلى ضمير التكلم ، يكون تقديره : نحن ، و يعود على لفظ الجلالة – سبحانه – ويكون الله قد أخبر مريم بأنه – تعالي – يخلق الأشياء الغريبة ، التي لم تجر بها عادة ؛ مثل ما خلق لك ولدًا من غير أب ، و أنه – تعالي – يُعلِّم هذا الولد ما يُعلِّمه قبله من الكتاب والحكمة والتوراة ، فيكون فى هذا الإخبار أعظم تبشير لها بهذا الولد وإظهار بركته ، وأنه ليس مشبهًا أولاد الناس من بنى إسرائيل ، بل هو مخالفٌ لهم فى أصل النشأة ، وفيما يُعلَّمه من العلم.[٩٦] ويوجز الزمخشري هذا المعنى كلَّه بقوله : " ونُعلِّمه ". عطفٌ على يبشِّرك ، أو على وجيهًا ، أو على يخلق ، أو كلامٌ مستأنفٌ . [٩٧]

- **تعظيم الملتفَت إليه فى نفوس المتلقين :**

---

[٩١] سورة آل عمران : ١١٣
[٩٢] سورة التغابن : ٧٦
[٩٣] انظر : الكشَّاف ، ١ : ٣٦٨
[٩٤] سورة آل عمران : ٤٧ ، ٤٨
[٩٥] انظر : البحر المحيط : ٢: ٤٧٠
[٩٦] التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية : ٣٤٨
[٩٧] الكشَّاف ، ١ : ٣٣٤

كما فى قوله – تعالي : فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول ".[٩٨] فقد عدل الخطاب القرآني من الخطاب إلى الغيبة ، ومن الإضمار إلى الإظهار ، ليعلى قيمة الملتفت إليه فى نفوس متلقي الخطاب القرآني ، فيعظموه و يجلوا قدره ، و يقبلوا عليه إنصاتًا و احتذاءً ؛ وفى هذا السياق يقول الزمخشري : " ولم يقل : و استغفرت لهم ، و عدل عنه إلى طريقة الالتفات ؛ تفخيمًا بشأن رسول الله – صلى الله عليه و سلَّم- وتعظيمًا لاستغفاره ، و تنبيهًا على أن شفاعة مَنْ اسمه الرسول من الله بمكان ".[٩٩]

وتجدر الإشارة إلى أن تناول الزمخشري للبعد النفسي للالتفات قد جاء كاشفًا لأبعاد الذوات من ناحية ، و ملهبًا للأنفس من أخري ، ومحققًا لها المتعة و الجلد من ناحية ثالثة ، ومطمئنًا لها من ناحية رابعة ، ومؤكِّدًا للخبر الموجَّه إليها من ناحية خامسة ، ودافعًا لها إلى المتابعة و التوحد باستنفار حواسها ، حتى يُمكن القول : إن فى حديث الزمخشري عن الالتفات إدراكًا منه إلى أن البعد النفسى هو المقصود من التغيير فى الصياغة اللغوية ، وأن فى التفاته إدراكًا وجمالًا يُحيطان النفس ويُمتعانها. فكان لزامًا على البحث أن يتطرق لبعض أبعاد الجمال فى أسلوب الالتفات .

المحـــور الثالث : البعد الجمالي للالتفات

تجدر الإشارة إلى أن جمال اللفظ إنما يتمثل فى حمله معناه مع رشاقته ، ولا يمكن أن يقتصر ذلك الجمال على اللذة الشكلية ، التى تمنح المتلقى شعورًا باليقظة ، ولا سيما حين تنقل الألفاظ من أسلوب إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى؛ والأصوب أن يقاس الالتفات على أساس أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته ؛ غير أن تلك الفائدة لا تحدُّ بحدٍّ ، ولا تُضبط بضابط ، لكن يُشار إلى مواضع منها ، ليُقاس عليها غيرها. وتجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من الأبعاد التى تمنح بناء الالتفات جمالًا ، يمكن التعرض لها على النحو الآتي :

- **مراعاة أفق الانتظار :**

يُعرف أفق الانتظار بأنه : " مجموعة من المعايير و المرجعيات ، التى يعتمد عليها المتلقى عند قراءته لأى عمل ؛ وتقويمه تقويمًا جماليًّا ".[١٠٠] وقد استمد ياوس مفهوم أفق الانتظار من فلسفة جادامر، وبخاصة في أثناء حديث جادامر عن تداخل الخلفيات المعرفية، واندماج الأفاق وتلاحمها، وفي ذلك إشارة إلى الترابط الحتمي بين الماضي

---

[٩٨] سورة النساء : ٦٤

[٩٩] الكشَّاف ، ١ : ٤٧٢

([١٠٠]) انظر : الأدب العام و المقارن ، تأليف : دانيى هفرى باجو ، ترجمة د : غسان السيد ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٧م ، نسخة مضغوطة pdf على موقع www.awu-dam.com : ٧٣

Doi: 10.12816/mdad.2021.152298

والحاضر.[١٠١] ومن الضروري الإقرار بأن أولئك الذين يتلقون الأعمال الأدبية، ليسوا خواء من أي شيء، وليسوا صفحة بيضاء، تخلو من الخبرة والمعرفة، أو على الأقل فإنهم يمتلكون فكرًا فطرهم الله به ، ورأيًا يديرون به حياتهم وسلوكهم، وإنما يمتلكون فكرًا خاصة بهم، أو عامًّا بجماعتهم ، ومحيطهم السوسيوثقافي ، الذى يعيشون فيه بصورة تبادلية ، بين التأثر والتأثير، ذلك الأفق أسهم في تشكيله وبنائه تراكمات بسيطة ومركبة من الأفكار والرؤى والخبرات والتجارب، وعلى ضوء ذلك الأفق يتلقون الأعمال الأدبية، ويقرءونها، ويفهمونها، ويتم التفاعل بينهما إيجابًا أو سلبًا. ويتكون أفق الانتظار لدى المتلقى من عوامل أساسية، منها:

١- الطبيعة النفسية.

٢- التجربة المسبقة التي يتوافر عليها الجهود في مجال الجنس الذى ينتمي إليه الأثر.

٣- شكل الآثار السابقة وموضوعاتها، التي يفترض في العمل الجديد أن يكون ملما بها.

٤- التعارض الحاصل بين اللغة الشعرية واللغة اليومية، بين العالم المتخيل والواقع اليومي.[١٠٢]

ومن قواعد الإعلامية النصية أن زيادتها مرهونة بأمرين ؛ أحدهما : اللغة العرفية التى يستخدمها المؤلف؛ و الآخر : إصرار المؤلف على تبليغ المتلقى قصدًا ما ، و التشديد على ذلك ، رغبة منه فى أن يستوعب المتلقي جميع بلاغه ، لأنه مناط تكليف ، أو لأنه يرجو له خيرًا ، أو لأنه ملزم بالامتثال إلى قصده ، ولاسيما إن كان الحديث من الله – سبحانه و تعالي – فى تلك الحالة يتيقظ المتلقى ، ويصرُّ على المتابعة ، لأن فى القصد طلبًا وشدة . وقد أدرك الزمخشري تلك القاعدة ، وضمَّنها فنَّ الالتفات ، بدا ذلك فى معرض حديثه عن قوله – تعالي : " واتَّقين الله ".[١٠٣] و محل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، وهو فى قوله : " واتَّقين الله".[١٠٤] ولم يقل: ويتقين الله. يقول الزمخشري : " وقيل : كُره ترك الاحتجاب عنهما ؛ لأنهما يصفانها لأبنائهما ، وأبناؤهما غير محارم ؛ ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب ، وفى هذا النقل ما يدل على فضل تشديد ، فقيل : " واتَّقين الله ".[١٠٥] فيما أُمرتن به من الاحتجاب ، وأنزل فيه الوحي من الاستتار ، واحتطن فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن ، واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوي فى حفظهما ، وليكن عملكم فى الحجب أحسن مما كان ، وأنتن غير محجبات ، ليفضل

---

(١٠١) مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي د: محمد إقبال عروي، م ع الفكر، م٣٧ع٣ : ٤٥.

(١٠٢) مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي: ٤٦.

١٠٣ سورة الزخرف : ٥٥

١٠٤ سورة الزخرف : ٥٥

١٠٥ سورة الزخرف : ٥٥

سركم علنكم ".[١٠٦]

وقد استثمر الزمخشري قدرة الإخبار فى الإعلامية النصيَّة ، لأن الخبر مفيد للثبوت ، و لتحقق المضمون لدى السامع ، و منعه من الشك ، وقد انطلق الزمخشرى من تلك القاعدة النظرية [١٠٧] فى قوله - تعالى: " الله يستهزئ بهم".[١٠٨] قال المعاندون الجاحدون:"إنما نحن مستهزءون".[١٠٩] فجاء الخبر اسمًا نكرة ، ليدل على استخفافهم ، وإنكارهم للإسلام ، و الإقرار بخلافه ، هذا ما دل عليه التنكير مع الاسمية .

وجاء قوله تعالى : (الله يستهزئ بهم) فعلًا مضارعًا ، ولم يقل - تعالى : الله مستهزئ بهم . والأصل تطابق التراكيب والقوالب اللغوية ، التى لا يصح العدول عنها ؛ إلا للمحة بلاغية ، أو طرفة دلالية ، أو تنسيق جمالى . يقول الزمخشرى : " فإن قلت : كيف ابتدئ قوله : " الله يستهزئ بهم " ، ولم يعطف على الكلام قبله؟ قلت : هو استئناف فى غاية الجزالة و الفخامة ، و فيه أن الله – عزَّ و جلَّ – هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ ، الذى ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ، و لا يؤبه له فى مقابلته ؛ لما ينزل بهم من النكال ، ويحل بهم من المزلة والهوان . وفيه أن الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم ؛ انتقامًا للمؤمنين ، ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله ؛ فإن قلت : فهلا قيل : الله مستهزئ بهم ؛ ليكون طبقًا لقوله : إنما نحن مستهزءون؟. قلت : لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده ، وقتًا بعد وقت ، وهكذا كانت نكايات الله فيهم ، وبلاياه النازلة بهم.[١١٠]

- **مباغتة المتلقى و التأثير فيــه :**

يعتمد الالتفات فى رفع الكفاءة الإعلامية لنص ما على أنه قد يصدم أفق التلقي ، لتلك الذات المتتبعة الناقدة الباحثة عن قصد ملقيه ، وتروم تلك الصدمة تحقيق اليقظة للمتلقى ، فينشط ذهنه ؛ اعتمادًا على التغاير الدلالي ؛ فهو أحيانًا يستمع إلى ذات متكلمة ، تحدث عن نفسها أو تتناول موضوعًا عامًّا ، ثم ما يلبث أن يجد نفسه مخاطبًا حول موضوع ما ؛ خاصًّا أو عامًّا ، و تارة ثالثة ينتقل إلى الغيبة ؛ فهو دائم اليقظة ، باحث عن اللذة التى يراها فى عدم النمطية ، والتى يراها فى حرص المؤلف على تحقيق الجدة فى دلالاته ، فيتابع القصد، فى توجد و تفاعل .بل يعد الالتفات عدولًا عن منطقية الترتيب اللغوي

---

[١٠٦] الكشاف ٣ : ٤٩٥ - ٤٩٦

[١٠٧] انظر : دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٢، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٨٩وط مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م . وتصحيح : السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للنشر و التوزيع ، بيروت ، ١٩٧٨م : ١٢٨ – ١٤١ (بتصرف)

[١٠٨] سورة البقرة : ١٥

[١٠٩] سورة البقرة : ١٤

[١١٠] الكشاف ١ : ٧٨

Doi: 10.12816/mdad.2021.152298

الدلالي بالنسبة إلى الكثير من أنماط القراءة .

وهنا تتذبذب درجة الكفاءة الإعلامية للخطاب بين التخييب و الارتفاع ، إذ إن المتلقي بين أمرين : إما أن يشعر بتهميش المؤلف له ، فينصرف عن الخطاب ، ولا سيما إن كان الخطاب فى معرض لوم أو تبكيت ؛ أوقد يشتاط غضبًا ، و تتصاعد إعلاميته النصية طرديًّا مع تصاعد الشحنات الدلالية ، ولا سيما لو جعله المؤلف محور اهتمامه ، واحتفى به ؛ التى يعكسها أسلوب الالتفات . وقد أدرك الزمخشري ذلك البعد النفسي لأسلوب الالتفات ، و ساق أمثلة على تصاعد درجة الإعلامية النصية ، حين يكون المتلقى فى بؤرة اهتمام المؤلف ، وأكَّد أنه قد يكون الالتفات من الخطاب إلى الغيبة بغرض المدح والثناء ، و إظهار التعظيم والشرف، وكأن المؤلف يحكى الخبر للمتلقي ، على سبيل التعجب و الاستعظام ، وهنا تمتلىء نفس المتلقى غبطة و سرورًا ، فينجذب إلى خطاب مؤلفه ، و تشمله يقظة مبررة . يقول الزمخشري فى قوله – تعالي : " وما آتيتم من زكاة يريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ".[١١١] فقوله – تعالي: " فأولئك هم المضعفون".[١١٢] التفات حسن ؛ كأنه قال لملائكته و خواص خلقه : فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم ، فهو أمدح لهم من أن يقول : فأنتم المضعفون ، والمعنى : المضعفون به ؛ لأنه لابد من ضمير يرجع إلى ما ، ووجه آخر ، وهو : أن يكون تقديره : فمؤتوه أولئك هم المضعفون ، و الحذف لما فى الكلام من الدليل عليه ، وهذا أسهل مأخذًا والأول أملأ بالفائدة .[١١٣] فهنا تصاعدت درجة الإعلامية النصية متابعة لأسلوب الثناء والمدح والتعجب والاستعظام .

- **تخييب الإعلاميـــة :**

قد يتحول المتلقى عن بؤرة الاهتمام ، وهنا تخيب الكفاءة الإعلامية لنص ما ، ويمل المتلقى ، لكن هناك دافعًا يُجبر المؤلف أن يُقصي المتلقى جانبًا ، ويجعله فى دائرة التهميش ، أو قد يضحى هذا الأسلوب صادمًا لأفق المتلقى ، ولاسيما إذا كان ممن يمتلك بعدًا ثقافيًّا خاصًّا ومتصاعدًا ، فترتفع الكفاءة الإعلامية لنص ما، لذا فالزمخشري يرى أن فى أسلوب الالتفات مراعاة لطرفي الخطاب المؤلف والمتلقى ؛ فهما دائما البحث و التلذذ و المتابعة . فقد يجىء الالتفات عن المتلقى لاستهجانه وازدرائه ، حال عناده ، وإصراره على الفحشاء ، والكذب على الله ، والتطاول عليه وعلى رسوله ؛ فيقول – معلقًا على قوله – تعالي : " إنما يأمركم بالسوء و الفحشاء و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا".[١١٤] يقول

---

[١١١] سورة الروم : ٣٩

[١١٢] سورة الروم : ٣٩

[١١٣] الكشاف ٣ : ٤٢٦

[١١٤] سورة البقرة : ١٦٩ – ١٧٠

منبهًا على ضلالهم : " (لهم) الضمير للناس ، و عدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات ؛ للنداء على ضلالهم ، و أنه لا ضال أضل من المقلد ؛ كأنه يقول : للعقلاء : انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون ؟.[١١٥] فى هذا الموضع يسود السأم والضجر ، ويمتنع الإمتاع و التجويد والتنوع ، ويسيطر على الخطاب بلاغ واحد ؛ وهو إما من فقط وإما إلى فقط ، وكان – غالبًا فى معرض اللوم أو إظهار الغضب . وقد أدرك الزمخشري تلك القاعدة ، فى معرض قوله – تعالي: " عبس و تولى أن جاءه الأعمي وما يدريك لعله يزكي".[١١٦] وفى الآيات السالفة الذكر التفات من الغيبة إلى الخطاب ؛ وإشعارًا بأن المؤلف يقبل على المتلقي ، معلنًا له اللوم و الإنكار و التوبيخ ؛ يقول : " و فى الإخبار عمَّا فرط منه ، ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار ، كمن يشكو إلى الناس جانيًا جنى عليه ، ثم يقبل على الجاني ؛ إذا حمى فى الشكاية ؛ مواجهًا له بالتوبيخ و إلزام الحجة ، وفى ذكر الأعمي نحو من ذلك ؛ كأن يقول : قد استحق عنده العبوس والإعراض لأنه أعمي ، وكان يجب أن يزيده – لعماه – تعطفًا و ترؤفًا و تقريبًا و ترحيبًا ".[١١٧]

- **الجمال من خلال التخييل :**

من ذلك الالتفات : الانتقالُ من الفعل الماضى إلى الفعل المضارع ، و ذلك فى قوله – تعالي : " والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه ".[١١٨] والالتفات – هنا – بين الفعل الماضى (أرسل) الدال على الماضى ، وبين الفعل (فتثير) الدال على المضارع ؛ والسر البلاغى هو استحضار الصورة البديعية الدالة على قدرة الله – تعالي – وكأنها مشاهدة ؛ لأن التعبير بالفعل المضارع من الماضى يدل على الاستمرار والتجدد واستحضار الصورة ، يقول الزمخشري : " فإن قلت : لما جاء (فتثير) على المضارعة دون ما قبله و ما بعده ؟! قلت : ليحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب ، وتُستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية ، و هكذا يفعلون بفعل فيه تمييز وخصوصية ؛ بحال تُستغرب أو تُهم المخاطب ، أو غير ذلك ".[١١٩]

- **تنشيط الذهن و تحريكـــه :**

أدرك الزمخشري أن فى الالتفات بعدًا جماليًّا ، وهو التطرية لنشاط السامع والمتكلم على السواء ، فكلاهما متيقظ منتخب متابع متحايل مراوغ ، حتى يصل كل منهم إلى مبتغاه ؛ لما يحققه من هزة داخلية ، وغموض فنى ، وإطراب للحس . يقول الزمخشري

---

[١١٥] الكشاف ١ : ٢٠٩
[١١٦] سورة عبس : ١ - ٣
[١١٧] الكشاف ٤ : ٥٩٩ - ٦٠٠
[١١٨] سورة فاطر : ٩
[١١٩] انظر : الكشاف ٣ : ٥٣٩

فى قوله – تعالي: (ألم) إلى قوله – تعالي:" يا أيها الناس اعبدوا ربكم".[١٢٠] : " لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين و الكفار و المنافقين ، و ذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم ؛ وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويسقيها ويحظيها[١٢١] عند الله و يرديها أقبل عليهم بالخطاب ، وهو من الالتفات المذكور [١٢٢] عند قوله : " إياك نعبد و إياك نستعين ".[١٢٣]

الجمال – هنا – هو الذى يحققه الالتفات من خلال عدم الاستقرار على حالة مزاجية واحدة ؛ فالمتلقى دائم اليقظة ، دائم البحث ، دائم التفسير و الجواب ، دائم البحث عن عاطفة النص و قصده ، يجد كل ذلك فى حالة البحث السرمدي . يقول الزمخشري : فإن قلت : لم عُدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان ، وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم ، كقوله – تعالي: " حتى إذا كنتم فى الفلك و جرين بكم ".[١٢٤] وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات فى ثلاثة أبيات : { من بحر المتقارب}.

تطاول ليلُك بالإثمدِ	و نام الخليُّ و لم ترقُدِ
و بات و باتت له ليلةً	كليلةِ ذى العائر الأرْمَدِ
و ذلك من نبإٍ جاءنى	و خُبِّرته عن بنى الأسودِ.[١٢٥]

و ذلك على عادة افتنانهم فى الكلام و تصرفهم فيه .[١٢٦] فامرؤ القيس – هنا - لا يُخاطب أحدًا بل هو يُخاطب نفسه، و لكنه ضمَّنها ضمير المخاطب (أنت) ليكون مقتضى ظاهر الكلام (الخطاب) و باطنه (الحضور) لقصد الشاعر العدول بالضمير ،

---

[١٢٠] سورة البقرة : ١ - ٢١
[١٢١] يحظيها عند الله و يُرديها : يجعل لها حظًّا أو يُلقى بها فى مهاوي الردي .
[١٢٢] الكشَّاف ، ١ : ٩٦
[١٢٣] سورة الفاتحة : ٥
[١٢٤] سورة يونس – عليه السلام : ٢٢
[١٢٥] البيت من قصيدة دالية لامرئ القيس بن حجر الكندي ، و قد نسبه ابن الكلبي لعمرو بن معد يكرب ، و قد رواه ابن دريد منسوبًا لامرئ القيس بن عانس الصحابي ، وروى ابن هشام الأنصاري صدره ، و استشهد به على ورود من فى محل اللام بمعنى التعليل ، وهو الشاهد رقم (٤٨٤) من شواهد المغنى ، انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري ، وبهامشه مختصر شرح شواهد المغنى للعلامة السيوطي ، تدقيق ، د : صالح عبد العظيم الشاعر ، ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م : ٢٦٢، وانظر : ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط:٣، دار المعارف القاهرة: ١٩٦٩م .، ط٥ ، القاهرة ١٩٩٠م. : ٧٨
[١٢٦] الكشاف ١ : ٣١ - ٣٢

تعميقًا لحس الفجيعة ،الذى يستولي عليه .[١٢٧] ويربط الزمخشري بين فن الالتفات – بوصفه تصرفًا لُغويًّا – والكفاءة الإعلامية لنص ما ، إذ يقرّر أن فى الالتفات مبالغة فى إدهاش المتلقي ، و فى معاونته على إدراك ما رامه المؤلف من قصد ، بدا ذلك فى أثناء تعرضه لتفسير قوله – تعالي : " حتى إذا كنتم فى الفلك و جرين بهم بريح طيبة ".[١٢٨] يقول : ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قلت : المبالغة كأنه يذكُرُ لغيرهم حالهم ؛ ليعجّبهم منها ، ويستدعي منهم الإنكار و التقبيح .[١٢٩] فهذا يؤكِّد أن الالتفات من سنن العربية ، وطرائقها فى التعبيرات الكلامية ؛ وفى الأبيات السابقة انتقال بصورة مفاجئة من خطاب إلى غائب ، أو العكس ، أو الانطلاق من الغائب مرورًا بضمير المتكلم ؛ للإخبار عن بداية الخطاب ثم الرجوع إلى الإخبار عن ضمير المتكلم.[١٣٠]

- **يُحقق الالتفات الهزَّة الوجدانية (متعة التلقي) :**

قد يدل الانتقال فى الكلام من التكلُّم إلى الغيبة على أبعاد جمالية ، منها ما يُخاطب نفس المتلقى ، ومنها ما يقرع سمعه و ذهنه ، ومنها ما يؤكِّد الخبر لديه ، كما فى كلام الزمخشري حول قوله – تعالي : " طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي .إلَّا تذكرةً لمن يخشى . تنزيلًا ممن خلق الأرض و السماوات العُلي.[١٣١] يقول الزمخشري : " فإن قلتَ : ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب ؟.[١٣٢] قلتُ : غير واحدة منها : عادة الافتنان فى الكلام ، و ما يُعطيه من الحسن و الروعة ، و منها : أن هذه الصفات إنما اسرَّدت مع لفظ الغيبة ، ومنها : أنه قال – أولًا – أنزلنا ، ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المُطاع ، ثم ثنَّى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة و التمجيد ؛ فضوعفت الفخامةُ من طريقين ، و يجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه.[١٣٣]

وعي الزمخشري أن الالتفات ليس شيئًا فى صياغة الكلام فحسب ، إنما هو نشاط نفسي لدى طرفي الخطاب ، المُلقى و المتلقى ، هذا النشاط لا يتحقق إلَّا عن طريق تفاعل المتلقى مع أبعاد النص ، الشكلية و المضمونية ؛ وهذا التفاعل يرتبط كيانه بدرجة

---

[١٢٧] انظر : شعرية الالتفات ، د : عبد القادر فيدح ، جامعة البحرين ، مجلة النصّ الجديد ، العدد(٥) ، الرياض ، ١٩٩٦م : ٢٧

[١٢٨] سورة يونس – عليه السلام : ٢٢

[١٢٩] الكشاف ٢ : ٢١٦

[١٣٠] انظر : العربية بين الطبع و التطبيع ، د : عبد الجليل مرتاض ، (د . ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٩٣م : ١٠٩

[١٣١] سورة طه – صلى الله عليه و سلم : ١-٤

[١٣٢] يشير لفظ التكلم إلى قوله – تعالي : " ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي " . فى حين يُشير لفظ الغيبة إلى قوله – تعالي : " تنزيلًا ممن خلق الأرض " .

[١٣٣] الكشَّاف ، ٣ : ٤٧ - ٤٨

الإعلامية لنصٍّ ما ، فيصبح البلاغ أقل عبئًا على الوجدان والذهن، فتغشي المتلقى هزة وجدانية ومتعة ذهنية ، تساعده على الالتذاذ بالنص ، وتقبله . وليس من شكٍّ فى أن الشعور بتلك اللذة الناجمة عن الالتفات تؤدِّى إلى سرعة تثبيت النص ؛ لفظًا ومعنًي فى ذاكرة المتلقى.[١٣٤] ومن المفيد الإشارة إلى أن هذا التصرف اللغوي بالالتفات تصرفٌ فيها الكثير من الجمال ، وخاصة الجمال الصوتي والجمال النفسي ، وجمالية القصد ، وهذا الجمال يؤدِّى إلى سرعة دخول المعني للقلب والعقل ، لأن الأذن والنفس ترتاحان إليه.[١٣٥]

والمتأمل لحديث الزمخشري يجده يكشف عن هذا البعد الجمالي للخطاب القرآني ، حين يدغدغ المشاعر، أو يستنفر الحواس ، أو يستثير الوجدان ؛ وهنا يعمد إلى حديث الالتفات ، لما فيه من إيحاءات [١٣٦] و دقة فى أساليب الحوار بين الملقى والمتلقى ؛ فتعم المتلقى هزة وجدانية جميلة و لذيذة ، هى أساس انفعاله و استجابته َوِردَّة فعله ، فينفعل الجسد ، ويكون جزءًا من حديث الالتفات ، أو ما يُمكن تسميته : التفات الجسد . يقول:" هو فن من الكلام جزل فيه هز و تحريك من السامع ، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيًا عن ثالث لكما : إن فلانًا من قصته كيت و كيت . وقصصت عليه ما فرط منه ، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت : يا فلان ! من حقك أن تلزم الطريق الحميدة فى مجاري أمورك ، وتستوى على جادة السداد فى مصادرك و مواردك ، نبهته - بالتفاتك نحوه - فضل تنبيه ، واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء ، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازًا من طبعه ما لا يجده ؛ إذا استمررت على لفظة الغيبة ، و هكذا الافتنان فى الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف ، يستفتح الآذان للاستماع ، و يستهش الأنفس للقبول ".[١٣٧]

وجاء فى الكشاف فى قوله – تعالي : " وإذا قيل لهم اتَّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتَّبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أولو كان ءاباؤهم لا يعقلون شيئًا و لا يهتدون ".[١٣٨] بعد قوله – تعالي: " إنما يأمركم بالسوء و الفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ".[١٣٩] يقول

---

[١٣٤] انظر : القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوي ، د : حازم على كمال الدين ، ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م : ٢٣

[١٣٥] انظر : علم الجمال اللغوي ، د : محمود سليمان ياقوت ، (د . ط) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ١ : ٢١٨

[١٣٦] انظر : الأمثولة بين الشعر و السرد ، د : عبد الرحيم الكردي ، بحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر الدولي الرابع للسرديات (السرد و الشعر) ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، المملكة العربية السعودية ، (٣-٥) مايو ٢٠١١م :٢٠

[١٣٧] الكشاف ١ : ٩٦

[١٣٨] سورة البقرة : ١٧٠

[١٣٩] سورة البقرة :١٦٩

الزمخشري : (لهم) الضمير للناس ، وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات ؛ فقال :" اتبعوا ما أنزل الله ". بالخطاب ، ثم قال :" بل نتَّبع ما ألفينا عليه ". للنداء على ضلالهم ؛لأنه لا ضال أضلُّ من المقلِّد ، كأنه يقول للعقلاء : انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون ؟. قيل : هم المشركون .[١٤٠] فهو يواجههم بالتوبيخ و الإنكار ، والتسفيه ، وإلقاء الحق على مسامعهم ، وحثُّهم على الامتثال لأوامر الله ، والتحذير من مخالفته ، كل ذلك سبيل لاعتصار الأنفس ، وهزِّها داخليًّا ، فتتيقظ ، وتتوحد مع الخطاب القرآني ، وتتفاعل مع جزئياته ، فتدرك كلَّ نسق من أنساق القصد .

ومن شواهده قوله – تعالي : " زُيِّن للذين كفروا الحياة الدنيا و يسخرون من الذين آمنوا و الذين اتَّقوا فوقهم يوم القيامة و الله يرزق من يشاء بغير حساب ".[١٤١] فقد جاء جمال الالتفات فى الانتقال من الفعل الماضى إلى الفعل المضارع ، فانتقل الخطاب القرآني من الفعل (زُيِّن) إلى الفعل المضارع (يسخرون) ، و البناء للمفعول فى الفعل الأول فيه إشارة صريحة إلى الشيطان ، الذى يزيِّن للإنسان الحياة الدنيا و يغويه ، أما المقصود بالفعل (يسحرون) فهم : الكفرة ، الذين يسخرون من المؤمنين ، الذين لا حظَّ لهم فى الدنيا كابن مسعود ، و عمَّار ، و صُهيب ، و غيرهم .[١٤٢]

ليس أجمل من أن ينتقل المؤلِّف فى حديثه متدرجًا من الأيسر إلى الأصعب ، ومن المعروف إلى المُراد إفهامه و فهمه ، بأن يُراعي أفق التلقى و نمطه ، والخلفيات المتعددة الرابطة بين طرفي الخطاب ، وأن يُعالق بين الرمزية و الرسم ، وكان ذلك تناول الزمخشري لقصد الالتفات وأثره فى ذهنية المتلقى ، وإعلاميته ، فتارة يُراعي أفق الانتظار ، حتى لا يُخاطب المتلقى بما لا يعيه ،ولا يستطيع اصطياد القصد منه ، وأخري يورده موارد المتعة فتنتشى نفسه و يهشُّ لذلك ، وثالثة يُنشط ذهنه و يُحرك وجدانه ، ورابعة يصدمه ويباغته ، وخامسة يمنحه قدرة على إدراك الجمال بالتخيُّل والتحليق فى عوالم الدلالات المطروحة ،كلُّ ذلك يجعله متوحدًا مع النصِّ القرآني ، شاعرًا بجماليته ، مدركًا لقصديته ، متفاعلًا مع مؤلِّفه .

- فى آخر المطاف من هذا البحث يُمكن أن يُقال : إن حديث الزمخشري عن الالتفات و الإعلامية عكس قوة باهرة فى الخطاب القرآني ، قوة شملت الصياغة و القصد و الجمال .
- جاء فهم الزمخشري للخطاب القرآني فهمًا مستوعبًا ؛إلَّا ما أخضعه إلى أصوله الاعتزالية ، فلسنا مطالبين بالتسليم بها ، و ليس هذا موضع تفنيدها .
- جاء نص الالتفات قويًّا كفنًّا ألجأ المتلقى إلى اليقظة و المتابعة فزادت درجة

[١٤٠] الكشَّاف ، ١: ٢٠٩
[١٤١] سورة البقرة : ٢١٢
[١٤٢] الكشَّاف ، ١ : ٢٤٤

الإعلامية عنده .

الخاتمـــة ، و فيها :

أهم النتائج :

– قـرأ الزمخشـري الـنص القرآنـي قـراءة مسـتوعِبه ، دسَّ – فـى كشَّـافه – أصـول الاعتزال بطريقة فيها الكثير من الحنكة والبراعة . وصدق العلامة محمد الناشد الحلبي إذ قال : لولا الأعرج والكوسج لظلَّ القرآن بكرًا ، لم تتبيَّن بلاغته على وجهها الصحيح ، والأعرج هو: الإمام الزمخشري، والكوسج هو: الإمام السكاكى صاحب مفتاح العلوم .

– شملت أبعاد الفهم للخطاب القرآني ، التعرض للسطح و للبنية العميقة ، و ربط الجذور المعجمية بجميع المعاني المحتملة و المعروضة و المقبولة.

– عبَّرت تفسيرات الزمخشري للآيات عن إدراكه لمفهوم الالتفات ، وأنها دارت حول ما تحمله مادة (ل ، ف ، ت) فى المعاجم اللغوية، وفى اصطلاح أهل البلاغة وعلماء التفسير.

– أدرك الزمخشري أن جمالية الالتفات فى الخطاب القرآني ليست فى صياغته فحسب، إنما فيما يحمله الالتفات من أبعاد جمالية و أخري نفسية .

– عكست تفسيرات الزمخشري لأسلوب الالتفات إدراكًا منه لأثر السياق بأنواعه المختلفة فى توجيهها ، و تضييق الفيوضات الدلالية .

– حقَّقَ بناء الالتفات عند الزمخشري متعة لوجدان المتلقى وإلهابًا لنفسه ، وكشفًا لدواخلها ؛ مما دفعه إلى الإصغاء والمتابعة، فارتفعت كفاءة الإعلامية فى حديث الالتفات .

– حقَّق التفات الزمخشري جمالًا صوتيًّا ، و لغويًّا و دلاليًّا و نفسيًّا .

التوصيات :

– دراسة الأبعاد الجمالية و النفسية للالتفات عند الزمخشري فى دراسة مستقلة.

– دراسة أثر الاعتزال فى أسلوب الالتفات عند الزمخشري .

– دراسة أثر أسلوب الالتفات فى تحقيق التماسك النصيّ عند الزمخشري .

– دراسة الشحنات الانفعالية التى يحملها أسلوب الالتفات عند الزمخشري.

واللهَ اسألُ صدقًا و إخلاصًا فى كلِّ ما أريد ، وإليه أدفع العمل دفعًا ، لعلَّه يُتَقبَّلُ ، يرافقه حسنُ الظن بخالقٍ رحمان رحيم ، رحمته سبقت غضبه ، وقارئ البحث مرآة صادقة لكل ما يقرأ ، فإن كان توفيقٌ فمن الله الموفِّق ، و إن كان تقصير فمن العبد المقصِّر ، الذى أغواه شيطانه ، ولكن حسبنا خلوص النية ونبلُ المُراد، فالحمد لله إنه ولىُّ كلِّ شىءٍ و القادر عليه .

ثبت المصادر و المراجع

الأدب العام و المقارن ، تأليف : دانيى هفرى باجو ، ترجمة د : غسان السيد ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٧م ، نسخة مضغوطة pdf على موقع www.awu-dam.com

التفاتات جرير (دراسة تحليلية حول نص نقدى) مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ، ع ٢٦،١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٨م .

الأمثولة بين الشعر و السرد ، د : عبد الرحيم الكردي ، بحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر الدولي الرابع للسرديات (السرد و الشعر) ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، المملكة العربية السعودية ، (٣-٥) مايو ٢٠١١م.

الإيضاح ، للخطيب القزوينى ، (د.ط) ، دار الكتب العلمية ، ، بيروت ، (د.ت).

البحر المحيط ،لأبي حيان الأندلسي ، دراسة و تحقيق و تعليق : عادل أحمد عبد الموجود و آخرين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م .

البلاغة العربية ، أسسها و علومها ، فنونها ، د : عبد الرحمن الميداني ، ط١ ، دار القلم ، ١٩٩٦م .

البلاغة العربية ، تأليف : عبد الرحمن حبنكة الميداني – دار القلم والدار الشامية – دمشق ، ط : ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري ، الدكتور محمد أبو موسي ، ط٢ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

البلاغة تطور وتاريخ ، د: شوقي ضيف ، ط٩، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، دار الفكر للطباعة، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٤م .

التحليل الوظيفي في الدراسات اللسانية (المفهوم والإجراء)، صلاح الدين علاوي، صحيفة دار العلوم، ع٢٩ ذو الحجة ١٤٢٨هـ /ديسمبر ٢٠٠٧م.

التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، د : أحمد سعد محمد ، ط٤ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

الخزانة ، للبغدادى ، ط بولاق ، ١٢٩٩هـ .

الخصائص ، لابن جني ، تحقيق : محمد على النجار ، (د . ط) دار الهدي للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .

دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، تأليف: د. سليمان الطراونة – الأردن – عمان ط : ١٤١٧هـ = ١٩٩٢م .

الدر المصون فى إعراب الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ، تحقيق و تعليق : الشيخ على

معـوض و آخـرين ، ط١ ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، لبنـان ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٢، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٨٩وط مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م . وتصحيح : السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للنشر و التوزيع ، بيروت ، ١٩٧٨م .
دينامية النص (تنظير و إنجاز) للدكتور : محمد مفتاح ، ط٣ ، المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٧٨م .
ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط:٣، دار المعارف القاهرة: ١٩٦٩م .، ط٥ ، القاهرة ١٩٩٠م.
شعرية الالتفات ، د : عبد القادر فيدح ، جامعة البحرين ، مجلة النصّ الجديد ، العدد(٥) ، الرياض ، ١٩٩٦م .
الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق : على محمد البجاوي ، و محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة البابى الحلبي ، القاهرة ، (د.ت).
الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، للعلوى ، (د . ط) مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤ م .
العربية بين الطبع و التطبيع ، د : عبد الجليل مرتاض ، (د . ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٩٣م.
علم الجمال اللغوي ، د : محمود سليمان ياقوت ، (د . ط) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
العمدة ، لابن رشيق ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، ط٥ ، دار الجيل بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
الفصل في الملل والأهواء و النحل ، لابن حزم الأندلسى ، تحقيق : محمد إبراهيم نصر، و عبد الرحمن عميرة ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، (د . ت) .
فقه اللغة و سر العربية ، للثعالبي ، تحقيق : أملين نسيب ، (ط١) دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م .
القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوي ، د : حازم على كمال الدين ، ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م .
الكتاب ، لسيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
الكشاف، لجار الله الزمخشري ، شرح و ضبط و مراجعة : يوسف الحمادي ، ط١، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .
لسان العرب (لابن منظور) تحقيق : عبد الرحمن بن قاسم النجدى ، ط١ ، دار صادر ،

بيروت ، لبنان ، بيروت ، ١٩٩٣م .
اللغة ودلالتها : تقريب تداولي للمصطلح البلاغي ، محمد سويرتي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٢٨ ، العدد الثالث ، يناير / مارس ٢٠٠٠، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت .
المحتسب ، لابن جنِّى ، تحقيق : على النجدى ناصف ، و الدكتور : عبد الحليم النجار ، و الدكتور : عبد الفتاح شلبى ، (د . ط) المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر ، لابن الأثير ، تحقيق : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، ط٢ ، منشورات الرفاعي ، الرياض ، ١٩٨٣م .
مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع ، لابن خالويه ، (ت ٣٧٠هـ) ، شرح العلامة الألماني ، برجشتراسر ، (د . ط) مكتبة المتنبي ، القاهرة ، (د . ت) .
المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري (في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير) (٦٢٠ - ٦٨٣ هـ) (عرض و نقد) ، تأليف : صالح بن غرم الله الغامدى ، (ط ١) ، دار الأندلس للنشر ، حائل ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨هـ .
مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي د: محمد إقبال عروي، م ع الفكر، م٣٧ع٣ .
معاني القرآن ، للفرَّاء ، تحقيق : محمد على النجار ، (د . ط) الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة ، (د . ت) .
مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري ، وبهامشه مختصر شرح شواهد المغنى للعلامة السيوطي ، تدقيق ، د : صالح عبد العظيم الشاعر ، ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
من أسرار اللغة العربية ، د : إبراهيم أنيس ، ط٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، صنعة أبى الحسن حازم القرطاجنى ، تقديم و تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، ط٣ ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨٦م . و ط(٢) دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨١م .

Doi: 10.12816/mdad.2021.152298